أوقاف المرأة في الأندلس ودورها الحضاري
(خلال العصرين الأموي وملوك الطوائف)
(١٣٨-٤٧٩هـ/ ٩٢٨-١٠٨٦م)

دكتور/ أنور محمود زناتي
كلية التربية- جامعة عين شمس

مقدمة:

يعد الوقف (الحبس)(١) خاصية ملازمة للمجتمع الإسلامي عبر تاريخه الطويل، وهو بمثابة الطاقة التي دفعت به نحو النماء والتطور من خلال الأسس المؤدية إلى تكوين مجتمع حضاري على درجة عالية من التقدم العلمي والرقي الاجتماعي.

وفي هذه الدراسة سوف نتناول "أوقاف المرأة في الأندلس ودورها الحضاري خلال العصرين الأموي وملوك الطوائف"، وقد اهتم الأمراء الخلفاء الأمويين وملوك الطوائف من بعدهم بالوقف وأولوه رعاية خاصة، والموضوع له أهمية حضارية نظراً لما تتمتع به المرأة من كيان فعال في الحضارة العربية الإسلامية، فلم تكن المرأة الأندلسية بمنأى عن الحركة الوقفية في تاريخ الأمة الحضاري، وكان للنساء نصيب من الوقف في الأندلس، كما كان للرجال، وفكرة أوقاف النساء تعود إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فهن أول من أوقف من النساء، بل وتؤول أول إدارة نسائية للوقف إلى أم المؤمنين السيدة حفصة رضي الله عنها، التي عهد إليها الخليفة عمر بن الخطاب بمهمة الإشراف على أوقافه بعد وفاته.

وقد تميزت المرأة العربية في الأندلس بحكم طبيعة المجتمع بنشاطها الذي ساعد فيه اظهار قابليتها في العديد من النواحي العامة في الحياة، وكانت أوقاف المرأة في الأندلس امتداداً للأوقاف التي كانت سائدة في بلدان الإسلام الأخرى، وتجلٍّ من تجلياتها الزاهرة المشرقة والمشرفة التي تميزت بها هذه الحضارة، وشعب الأندلس عرف بالغنى والثراء والتعدد العرقي والديني والجغرافي فجاء وقفهم في سياق ذلك، وانعكاساً له، متنوعاً ومتعدداً وذا طابع خاص. بحيث تميزت الحياة عندهم بالمستوى المادي الرفيع الذي عاشوه بكثرة المساهمة في الأوقاف.

ونظرا للدور المسكوت عنه عن الدور الذي لعبته المرأة في الأندلس على صعيد الأوقاف والمشاركة العلمية، والاجتماعية، وجدنا أن نسلط الضوء على ذلك الدور البارز الذي أغفلته الدراسات المتخصصة لنفرد هذا البحث لدور المرأة الأندلسية في الوقف. حيث ساهمت أوقاف النساء في الأندلس بدور إيجابي متعدد الأهداف في دعم المرأة الأندلسية وهذه مسألة بحثية جديرة بالبحث والدراسة.

مشكلة الدراسة:

هناك إشكالية تقابل الباحث في تاريخ المرأة بصفة خاصة تتمثل في قلة الدراسات، وتشتتها بين المصادر، وهو الأمر الذي يفسر لنا طول الفترة الزمنية المختارة للبحث (١٣٨-٤٧٩هـ/ ٩٢٨-١٠٨٦م) خلال العصرين الأموي وملوك الطوائف؛ كما أن من تناولها لم يتطرق كثيراً لدورها الحضاري إلا فيما ندر، ومن المشاكل التي واجهتني، ندرة الوثائق عن الوقفية المرأة كما أن معظم تراجم النساء لدى مؤرخينا امتازت باختصارها الشديد، وأحيانا يقتصر على الاسم واللقب وسنة الوفاة، حالها حال معظم التراجم الأخرى للنساء في المشرق والمغرب، كما لم يهتم كتاب التراجم ومعاجم النساء بالحياة الداخلية للنساء، فكان علينا استنطاق النصوص قدر الإمكان للوصول إلى الدور الفعلي لهن.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة، هناك رسالة دكتوراه تحت عنوان:" المرأة فى الغرب الإسلامي منذ قيام دولة المرابطين حتى سقوط مملكة غرناطة ٤٦٢هـ - ٨٩٧ هـ /١٠٧٠م - ١٤٩٢م"، للدكتورة راوية شافع، وتعد من الدراسات القليلة عن المرأة الأندلسية تناولت فيها دور المرأة السياسي في عصري المرابطين والموحدين تطرقت فيه لدور المرأة العلمي في عصري المرابطين والموحدين ويشمل: مكانة المرأة العلمية، ومشاكل الإنتاج العلمي، وأعمال الأميرات، ونشاط المرأة الاجتماعي في عصري المرابطين والموحدين والزواج المختلط، والملابس وفن الغناء والموسيقى، وتناولت دور المرأة السياسي والعلمي والاجتماعي في عصر بنى نصر وبنى مرين، وحقوق المرأة المسلمة وظاهرة الزواج المختلط ومكانة المرأة الغرناطية، والملابس والحلى، وتأثير الحضارة الإسلامية على الشمال الإسباني.

وللدكتورة راوية رسالة ماجستير أيضاً عن المرأة الأندلسية تحت عنوان: دور المرأة في المجتمع الإسلامي الأندلسي : من الفتح العربي للأندلس حتى سقوط الخلافة الاموية، والدراستين لهما قيمة علمية عن المرأة الأندلسية؛ إلا أنها لم تفرد مبحثاً أو مطلباً خاصاً عن أوقاف المرأة في الأندلس.

وهناك دراسة سهى بعيون: "إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس في عصر ملوك الطوائف ٤٢٢ – ٤٧٩هـ/ ١٠٣١ – ١٠٨٦م". ناقشت في الدراسة إسهامات المرأة في النشاط الأدبي والثقافي عموما، وقيام المرأة الأندلسية بعقد الندوات والمنتديات الأدبية والعلمية في منزلها، ولم تقتصر مشاركة المرأة الأندلسية على المجال الثقافي والعلمي، بل امتدت إلى دور فاعل في الحياة السياسية، ورصدت مشاركات نسائية في علوم اللغة والأدب، وظهور متخصصات في الفقه والقراءات، والحديث، والتفسير، إلى جانب الآداب والعلوم الطبية.

وفي الدراسات السابقة تلك لا يوجد أحدًا من الباحثين تطرق إلى معالجة مسألة أوقاف المرأة في الأندلس بشكل واف؛ لذا وجدنا ضرورة البحث والتنقيب بين ثنايا المصادر والمراجع للخروج بتلك الدراسة.

أهداف الدراسة:

إبراز دور أوقاف المرأة الأندلسية العلمي في الأندلس. والاسهامات العلمية في حضارتنا العريقة الناتجة عن تلك الأوقاف، وتأثيرها الفعال في تقدم ورقي الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

توضيح دور أوقاف المرأة الأندلسية الاجتماعي والذي يؤكد على دور المرأة الفعال في مجتمعها العربي الإسلامي.

خطة الدراسة:

وقد قسمت الخطة إلى تمهيد، ومبحثين اثنين، ثم نتائج الدراسة وتوصياتها؛ وثبت المصادر والمراجع.

تناول التمهيد: دور المرأة الأندلسيّة في العمل الخيري، وكيف كان للمرأة الأندلسية حضور قوى في كثير من ضروب الحياة في ذلك الوقت. ولم تكن منزوية على نفسها في المجتمع ولعبت دوراً رئيسياً فيه.

وخصصت المبحث الأول: لدراسة: "أوقاف المرأة الأندلسية ودورها في النهضة العلمية". حيث قدمت أوقاف المرأة في الأندلس خدمات علمية جليلة للحضارة والعلم والتقدم ولخدمة تنمية المجتمع وتطويره. وكان لها دورها المؤثر في نهوض المؤسسات العلمية، وتحقيق نهضة الأمة وقيام حضارة إسلامية قوية ذات مصادر تمويلية دائمة. وساهمت أوقاف المرأة في الأندلس بقدر كبير في نهضة الحضارة الإسلامية، وأن من يقرأ تاريخ الوقف ليجد أنه شمل مختلف جوانب الحياة من المساجد ومكتباتها والوقف على المصاحف، والمدارس الخ.

أما المبحث الثاني فتناول: "أوقاف المرأة الأندلسية ودورها الاجتماعي في الأندلس". حيث ساهمت أوقاف المرأة الأندلسية بنصيب وافر في دعم المجتمع الأندلسي بصور شتى فقد كان إنشاء وقفيات من أجل قضايا البر من أول أعمال التقوى وأهمها على الاطلاق. وكان لتلك الأوقاف دورها الفعال في الحياة الاجتماعية في الأندلس فكانت هناك مشاركة فعالة عملت على سد حاجات أفراد المجتمع عن طريق الوقف. كما ساهمت المرأة الأندلسية بنصيب وافر في الاهتمام بأوقاف رعاية ومساعدة المرضى والفقراء والأيتام والعجزة وقد أدت دورها الاجتماعي باقتدار بحثاً عن الأجر والمثوبة والمشاركة الاجتماعية الفعالة.

وأخيراً ضمنت خاتمة الدراسة النتائج التي توصلت إليها، واختتمت البحث بملاحق وثبت المصادر والمراجع التي أعانتني في إنجاز الدراسة.

المنهج المتبع للدراسة:

قمت بالاعتماد على المنهج التاريخي كما تطلب البحث أحيانا استخدام المنهج التحليلي، وكذلك المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظواهر واستقرائها.

التمهيد

دور المرأة الأندلسية في العمل الخيري

ساهمت المرأة الأندلسية مساهمة فعالة في العمل الخيري، وارتبط ذكر عدد لا بأس به من النساء الأندلسيات بالعمل الخيري، وتحدثت المصادر عن جوانب مختلفة من ذلك العمل الخيري مثل الوقف الخيري، ونشر الدعوة الإسلامية، وبناء المساجد ونشر التعليم، ومساعدة الفقراء والأيتام، وقد نتج عن ذلك أن نبغ في الأندلس عدد كبير من النساء المهتمات بالعمل الخيري، وكان لهن أثر واضح في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الأندلس.

ويؤكد المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال على: "أن المرأة المسلمة الأندلسية في عصر الخلافة، وفي العصور التي تلته تحظي بوضع أكثر تميزاً من وضع أخواتها في المشرق، فلربما، أن المرأة الأندلسية كانت تتمتع بحرية بصورة نسبية علي الأقل في الطبقة الوسطي المتوسطة"(٢). وحظيت المرأة بحرية واسعة، فكانت تتحين الفرص للمطالبة بحقوقها، لا تسكت على الضيم، ولا تبالي بلومة لائم طالما ترى أنها صاحبة حق(٣)

تمتعت كثيرات من النساء الأندلسيات بثراء فاحش، وكن يملكن الأموال والضياع ويوكلن من يسيرها لهن(٤)، وكانت لهن أملاكهن الخاصة البعيدة كل البعد عن أملاك أزوجاهن، وكن يدرنها لحسابهن الخاص(٥)؛ فوجدنا في كتب النوازل الفقهية مسائل تدور حول نساء مالكات للأراضي(٦) تستثمرها بالكراء(٧) (٨)، مثل التي عملت على تفويت مشجر لزوجها عن طريق المساقاة(٩). ومنهن من كن يتملكن الأصول والعقارات ويتصرفن فيها بالصدقة(١٠). كما تتحدث النوازل عن نماذج من النساء اللواتي كن يستثمرن أموالهن في التجارة، كتلك التي باعت قمحاً بالذهب(١١)، وأخرى كانت تشارك الرجال وتستثمر أموالها في تربية البقر (١٢).

وحاز كثير منهن ثروة كبيرة، مثل: "الزهراء" جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م - ٣٣٠ هـ - ٩٤١ م)، عند وفاتها، تركت وراءها ثروات طائلة جعلت الخليفة يأمر بإنشاء مدينة كبيرة بهذه الأموال، وتسمى باسمها فأنشئت مدينة الزهراء (١٣). وكانت السيدة صبح" أم الخليفة هشام المؤيد، وزوجة الخليفة الحكم المستنصر على درجة كبيرة من الثراء(١٤).

ووجدنا ولادة بنت الخليفة المستكفي بالله (ت٤٨٤هـ / ٩٩٤م) أعانتها ثروتها علي أن تعد في قصرها ندوة للعظماء والعلماء والشعراء، تساجلهم ويساجلونها، وكانت كريمة النفس شريفة الأصل، وكانت لا تترك أحداً يتصرف في مجلسها ولا بدرهم (١٥).

وقد امتهنت المرأة الأندلسية عدة مهن جعلتها تتمكن من وقف الأوقاف، وكان منهن من تمتلك الثروات والأموال ولهن حرية التصرف في أموالهن، مثل: عائشة بن أحمد القرطبية (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م) التي كانت تكتب المصاحف وتجمع الكتب، وتعني بالعلم وثروتها أعانتها علي الإنفاق في مجال العلم (١٦).

وهناك كاتبات شهيرات في عهد عبد الرحمن الناصر، وهن "مزن" و "كتمان" و "زمرد"(١٧)، وكانت هناك فاطمة بنت زكريا بن عبد الله الكاتب المعروف "بالشبلاري". وكانت كاتبة جزلة، وخطاطة ماهرة، ويبدو من اسم والدها "الكاتب" أنها ورثت منه هذه المهنة، وتوفيت سنة (٤٢٧ه–١٠٣٧م) ودفنت بمقبرة أم سلمة، وماتت بكر لم تتزوج قط (١٨).

كما امتهنت المرأة الأندلسية عدة مهن منها مهنة الطب، وبرزت منهن في تلك المهنة أم حسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي من أهل مدينة لوشة(١٩)، ومن المتقدمات في الطب أيضا "أم عمرو بنت عبد الملك بن أبي مروان بن زهر"، ووصفت بالمهارة في التدبير والعلاج، فكانت تلج قصور الأمراء وتنظر في علاج مرضاهم، ونسائهم وأطفالهم وإمائهم، وكانت تستفتي في الطب لرجالهم فتزيد بذلك مكانتها، التي يقتضيها مجدها الكبير وشرفها العظيم(٢٠).

نتيجة تلك الوضعية الاقتصادية المتميزة؛ شاركت المرأة في الأندلس في الأعمال الخيرية، وفرض عددا من نساء الأندلس وجودهن فرضاً على مواكب فعل الخيرات في الأندلس، وكان لهن حضور قوى في كثير من ضروب الحياة في ذلك الوقت. ولم تكن منزوية على نفسها في المجتمع ولعبت دوراً رئيسياً فيه(٢١)؛ ولم تكن المرأة الأندلسيّة تقل عطاءاً وإبداعاً في هذا الميدان عن الرجال(٢٢)، لذا يعد الدور الذي قامت به المرأة في مجال العمل الخيري، أحد الجوانب المشرقة في تاريخ الحياة العربية الإسلامية في الأندلس.

وكانت تلك الأعمال الخيرية لها دور كبير في محاولة إصلاح الفساد الأخلاقي في الدولة الأندلسيّة الذي جاء نتيجة الترف والانغماس في الملذات(٢٣). ومن ثم كان لعدد

منهن دور ايجابي في مقاومة تلك الآفات الاجتماعية عن طريق العمل الدعوي والوقف الخيري.

ولابد أن نؤكد على أنَّ المرأة الأندلسيّة جارية أو حرَّة، أسهَمتْ في هذا النَّشاط الخيري في مختلف عُصور الحكم الإسلامي للأندلس، وكانت مساهمتها فاعلةً، ولو لقيت عنايةً أكبر من قِبَلِ الباحثين، لربما كانت أضعاف مضاعفة. ناهيك عن عددا كبيرا من كتب التراث لم تصلنا.

ارتبط ذكر عدد لا بأس به من النساء الأندلسيات بالصلاح والزهد والأعمال الخيرية، وقد ساهمت المرأة الأندلسيّة في مواكب فعل الخيرات وبرز في مجال الدعوة ونشرها عدداً من النساء الداعيات والفقيهات، وقد تحدثت المصادر عنهن منهن: رَشِيدَة الواعظة والتي كَانَت تجول فِي بِلَاد الأندلس تعظ النِّسَاء وتذكرهن وكان لها صيت واتصاف بِالْخَيرِ(٢٤).

ومن صالحات الأندلس أيضا: فاطمة بنت يحي بن يوسف المغامي(٣١٩ هـ / ٩٣١م)، أخت الفقيه يوسف بن يحي(٢٥)، ومن النساء الأندلسيات اللائي تحدث عنهن التاريخ في مجموعة من لمحاته التاريخية نظرا لأهميتها البالغة في خدمة الدعوة الإسلامية، وخدمة أهله فكانت من النابغات المتألقات خيرة فاضلة، عالمة فقيهة ورعة ساهمت في فعل الخيرات، استوطنت قرطبة وتوفيت بها سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، في عصر الخليفة الناصر لدين الله. ودفنت بالربض، ولم ير على نعش امرأة من المصلين ما رئى على نعشها(٢٦). وبطبيعة الحال تدل جنازتها على كثرة المريدين والتابعين وأنها كانت من السابقات إلى الخيرات.

ومن دائرة الزهاد والداعيات أيضا البهاء (ت ٣٠٥ هـ/ ٩١٨م) التي كانت من خيرة نساء بني أمية من أهل الزهد والعبادة والتبتل(٢٧). وهناك أيضا من الداعيات أمة الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن العَبْسِي (ت/ ٤٤٦هـ - ١٠٥٤م) ذكرت المصادر أنها عالمة فاضلة صوامة قوامة(٢٨). وكانت هناك بركَة مُعتقة ابْن القسام الْفَقِيه كَاتب القَاضِي أسلم بن عبد العزيز (ت ٣١٩ هـ/٩٣١ م) كانت امرأة صالحة خيرة وهي أم أبي محمد عبد الله بن أحمد الصابوني الْفَقِيه(٢٩).

ومن صوالح النساء أسماء بنت غالب مولى النَّاصِر عبد الرحمن بن محمد تزَوجهَا المنصور بن أبي عامر فِي أول أمره وبعد الوزير عبد الرحمن بن مبشر وطلقها على

عهد الحكم ولَم يفارقها المنصور حياته وكَانَت عفيفة أريبة أديبة ذَات جمال بارع وأدب صَالح ولَما خَالف غَالب أَبوهَا وظفر بِهِ المنصور فِي قصَّة طَوِيلَة امتحنهـا بِـأَن أَمـر بِعرْض رَأس أَبِيهَا علَيْهَا أذ أنفذه إِلَى قرطبة فَقَالَت الْحَمد لله الَّذِي أراحك وَحكم لمـولاك أما لَوْلَا طَاعَة الإِمَام الْمولى وَحقّ الزَّوْج المطاع لقضيت للحزن علَيْك أوطـارا وَإِنِّـي بالحزن لَك لأولي مني بالحزن علَيْك علَيّ بِمَاء الْورْد وَالطّيب فَهَذَا آخر الْعَهْد ببر الْأَب فغسلت وَجهه ورجلت شعره وَنَثَرت علَيْهِ مسكا كثيرا وأسلمته إِلَى الرَّسُول فأنفـذ إِلَـى الْخَلِيفَة هِشَام الْمُؤَيد وكَانَ هَلَاك غَالب يَوْم السبت لأَرْبَع خلون من الْمحرم سنة إِحْـدَى وَسبعين وثلاثمائة(٣٠).

وكان لهِنْد بنت عبد الرَّحْمَن النَّاصِر مكانة عالية فِي الشّرف وَالْجَلَالَة وَالْأَدب والحجـا والرجاحة ولها آثَار مخبورة وأخبار مأثورة ويكنى ابْن حَيَّـان عَنْهَـا بِعَجُـوز الْملـك وعمرت طَوِيلا وَتوفيت إِثْر قيام مُحَمَّد بن هِشَام بن عبد الْجَبَّار الْمهْدي فِي سـنة تـسع وَتِسْعين وثلاثمائة (٣١).

ومن النساء الصالحات المشهورات بالتفسير والفقه عَتيق الأقوبية، وكَانَت امْرَأَة صَالِحَة وَتوفيت ببلنسية ذكرهَا أَبُو دَاوُد المقرئ وَذكر أَيْضا ابْنة فائز الْقُرْطُبِيّ زوج أَبـي عبـد الله بن عتاب ولَم يسمهَا وَقَالَ كَانَت ممَّن شهر بِحِفْظ الْعلم وَالْأَدب وتفننت أخـذت عَـن أَبِيهَا فائز علم التَّفْسِير واللغة والعربية وَالشعر وَعَن زَوجهَا الْفِقْه وَالرَّقَائِق وَخرجت من قرطبة إِلَى دانية للقاء أبي عَمْرو المقرئ وَأخذ الْقرَاءَات عَنهُ فألفته مَرِيضا من قرحَـة بصلبه كَانَت مِنْهَا منيته فَحَضَرت جنَازَته ثمَّ سَأَلت عَن أَصْحَابه فَـذكر لَهَـا أَبُـو دَاوُد فلحقت بِهِ بعد وُصُوله إِلَى بلنسية وقرأت علَيْهِ الْقُـرْآن بـالقراءات الـسَّبع وجودتهـا وضبطت علَيْهِ الْمُصحف على الْقرَاءَات السَّبع فِي آخر سنة أَربع وَأَرْبَعين وَأَرْبع مائَـة ثمَّ رحلت حَاجَة إِلَى الْمشرق وَتوفيت بِمصْر بعد تَمام حَجهَا منصرفة إِلَى الأندلس سنة ٤٤٦ هـ/١٠٥٤م(٣٢)

ومن الفقيهات أيضا أَسمَاء بنت أبي دَاوُد سُلَيْمَان بن نجاح المقرئ من أهل بلنسية رَوَت عَن أَبِيهَا كثيرا وشاركته فِي بعض شُيُوخه وَهِي الَّتِي زَوجهَا من أَحْمد بن مُحَمَّـد فَتـى كَانَ يقْرَأ علَيْهِ وَكَانَ فَاضلا مقلا فأعجبه سمته وَقَالَ لَهُ يَوْمًا أَتُحِبُّ أَن أزَوجـك بِنْتـي فَخَجِلَ الْفَتى وَذكر حَاجَة حَاجَة تَمنعهُ فَزَوجهَا مِنْهُ وَنظر لَهَا فِي دَار وزفها إِلَيْهِ(٣٣)

ومن العوابد الصالحات صَوَاب زوج أبي إِسْحَاق بن إِسْمَاعِيل القبري الزَّاهِد رحلت مَعَه إِلَى الْمشرق وأديا فَرِيضَة الْحَج وعادا إِلَى الأندلس وبقيا على أفضل مَا كَانَا عَلَيْهِ من الِاجْتِهَاد إِلَى أَن توفيا رحمهمَا الله ودفنا بمقبرة الربض(٣٤).

وكانت أم شريح المقرئ من أهل إشبيلية تقرئ الْقُرْآن لمن خلف عَلَيْهَا خلف ستر بِحرف نَافِع أخذت عَن زَوجهَا أبي عبد الله بن شُرَيْح وَكَانَ أَبُو بكر عِيَاض بن بَقِي ممَّن قَرَأَ عَلَيْهَا فِي صغره وَكَانَ يفخر بذلك ويذاكر بِهِ ابْنهَا شريحا وَيَقُول قَرَأت على أَبِيك وأمك فلي مزية على أَصْحَابك وماتة لَا يمت بِمِثْلِهَا أحد إِلَيْك فَيقر لَهُ الشَّيْخ ويصدقه(٣٥).

وكانت أم الْوَلِيد بنت النَّضر بن مسلمة بن وليد بن أبي بكر بن عبيد الله بن عَليّ بن عِيَاض الْكلابِي كَانَ أَبوهَا قَاضِي الْجَمَاعَة للأمير عبد الله بن مُحَمَّد ثمَّ وزيرا لَهُ وَكَانَت هِيَ امْرَأَة زاهدة صَالِحَة(٣٦)

كما اشتهرت عائلات كاملة بالعمل الخيري ونشر الدعوة منهم نساء بني وانسوس: قال الرازي : "كان لبني وانسوس نساء متقدمات في الخير، والفضل، والورع، والنسك، حج منهن ست نسوة، وهن : أم الْحسن بنت أبي لِوَاء سُلَيْمَان بْن أصبغ وكانت " امْرَأَة صَالِحَة زاهدة فاضلة عَاقِلَة"(٣٧)، وكليبة زوج أصبغ بن عبد الله بن وانسوس وأمة الرحمن، وأمة الرحيم ابنتا أصبغ هذا، ورقية ابنة محمد بن أصبغ، وعائشة ابنة عمر بن محمد بن أصبغ (٣٨).

وامتد الأمر ليصل إلى الجواري في الأندلس؛ فنجد هناك جارية تدعى مصابيح، جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل، وكانت غاية في الإحسان والنبل(٣٩)، كما كانت جؤذر من الْقَيْنَات المحسنات بقرطبة، وهي جَارِيَة ابْن الْعَجُوز(٤٠)، كما كانت الجارية مرجان كانت لطيفة المقاصد(٤١).

لقد تمتعت المرأة بمكانة عظيمة في المجتمع الأندلسي؛ فكانت انطلاقتها في المجتمع الأندلسي أوسع مما كانت عليه في البلدان العربية والإسلامية الأخرى؛ ناهيك عن كافة بلدان أوروبا في ذلك الوقت. وكان وقف المرأة في الأندلس خير دليل على تلك المكانة الرفيعة.

المبحث الأول

أوقاف المرأة الأندلسية ودورها في النهضة العلمية

اعتبر الإسلام العلم والتعليم ضرورة بشرية لازمة لكل فرد من أفراد المجتمع، فجعله، فريضة وركناً من الإيمان بالله، وجعل العلم فريضة علي المرأة كما هو فريضة علي الرجل (٤٢).

وقد ساهمت الأوقاف بقدر كبير في نهضة الحضارة الإسلامية، ولذلك تعتبر مؤسسة الأوقاف، المؤسسة الأم التي نشأت في كنفها الحضارة العربية الإسلامية، لما وفرته من تمويل مستمر وشامل لكل مجالاتها(٤٣).

وكانت الأوقاف الشريان الرئيسي لكل النشاطات العلمية في الأندلس، وكفل الوقف بناء هذه المؤسسات وصيانتها وكفل كل من درس فيها، بل كفل الطلبة من جميع الوجوه حتي في توفير مساكن لهم ملحقة بالمدارس تساعد الطلبة علي التفرغ لدراستهم، حتي اشتهرت بعض المساكن الدراسية بخدمات راقية.

وقدمت أوقاف المرأة في الأندلس خدمات علمية جليلة للحضارة والعلم والتقدم ولخدمة تنمية المجتمع وتطويره، وبخاصة في الجانب التعليمي منه. وكان لها دورها المؤثر في نهوض المؤسسات العلمية، وتحقيق نهضة الأمة وقيام حضارة إسلامية قوية ذات مصادر تمويلية دائمة.

وقد كان إنشاء وقفيات من أجل أعمال البر والإنفاق في سبيل العلم من أهم أعمال التقوى. وقد كان الوقف السبب الرئيسي في أغلب الإنجازات العلمية التي شهدتها الحضارة الإسلامية، والتي كانت الأساس الذي شيِّدت عليه الحضارة الحديثة. وكان دعم المؤسسات التعليمية مثل المساجد والمدارس والمعاهد العلمية محط اهتمام النساء في الأندلس، وتضمنت تلك المساهمات ما يلي:

أولاً: الوقف على المساجد:

يعد المسجد من أهم أماكن التعليم في تاريخ التربية والتعليم عند المسلمين، وهي أهم منبر للإشعاع الثقافي، ذلك أن المسجد لم يكن موطن عبادة وذكر فحسب، بل كان المؤسسة الأم للتعلم والتعليم ومنبر للتوجيه والإرشاد الديني والإصلاح الاجتماعي، وإحياء القيم الإسلامية ومعالجة قضايا المجتمع (٤٤).

وقد حظيت المساجد باهتمام كبير خلال مراحل التاريخ الإسلامي ؛ إذ كان تشييدها وتوفير الخدمات المناسبة لها هدفاً سعى إليه خلفاء وحكام ووزراء وعلماء وأثرياء لتقام فيها الشعائر الدينية، إضافة إلى استخدامها في العملية التعليمية(٤٥).

وكان المسجد في الأندلس إلى زمن متأخر أهم مدرسة لتلقي العلم، حيث ذكر المقري (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م) وهو يتحدث عن الأندلس أنه لم يكن "لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة"(٤٦).

وبالتالي لم يكن المسجد مكان عبادة فحسب بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلومه ومختلف فروع العلم الأخرى(٤٧)، بل المسجد هو الجامعة العلمية التي خرجت كل المفكرين والعباقرة، في شتى المجالات، والذين قادوا مسيرة التطور الحضاري في العالم كله(٤٨). وما كان للمسجد أن يؤدي رسالته الحضارية التعليمية والثقافية، إلا بفضل ما وقف عليه من أموال(٤٩).

وقد ساهمت المرأة الأندلسية مساهمة فعالة في الوقف على المساجد، ومن تلك النماذج نجد مسجد "عَجَب" جارية الحكم بن هشام الربضي (٥٠) (١٥٤ هـ/٧٧١ م-٢٠٦ هـ/٨٢٢ م)، ومحظيته ذات السلطان الواسع. وقد لعبت "عجب" دورا مهماً في بلاط أمراء بني أمية، وفي قيادة دفة الحكم؛ فهي تعتبر إحدى شهيرات النساء القرطبيات، في عصر الأمير الحكم الربضي، وقد بلغ من حبه لها وولهه بها، أن أنشأ لها منية(٥١) خاصة بها حملت اسمها، كما حصلت على قدر كبير من التعليم، والتفقه في الدين والعلوم الأدبية واللغوية(٥٢).

ونجد في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم (١٧٦ هـ/٧٩٢م-٢٣٨ هـ/٨٥٢م) يؤكد ابن حيان القرطبي (ت٤٦٩ هـ /١٠٧٦ م) على أنه "ابتنيت المساجد الجامعة بكور الأندلس واستوسعت فيها إقامة الجمع ورفع الأدعية، وتناغى كبار حظاياه، وتنافس جواريه، ومقصورات نسائه في ابتناء المساجد الرفيعة بقرطبة، وكان فيهن يومئذ خير كثير، تبارين به في الأعمال الصالحة. توسعن بالإنفاق في أبواب الزلفة واكتملت بأرض قرطبة وقصبتها من رفعهن مساجد مشيدة البناء، واجبة الأوقات، آهلة القطين، طالت عمارتها بذكر الله تعالى حقبة، منسوبة إليهن، متعرفة بأسمائهن كمسجد "طروب"، ومسجد "فخر"، ومسجد "الشفاء"، ومسجد "متعة"، وأشباههن بما يكثر عدده ولا يجهل مكانه"(٥٣).

وقد ابنتنت "طروب" أشهر جواري الأمير عبد الرحمن بن الحكم وأم ابنه عبد الله(٥٤)، والغالبة عليه مسجداً بصدر الربض الغربي عرف باسم مسجد طروب(٥٥)، وكانت طروب من الجواري الشماليات القادمات من بلاد الإفرنج في جنوب فرنسا، أو من مقاطعات قطالونية، والباسك، والبشكنس Vascos، وجليقية Galicia. وهؤلاء الجواري بصفة عامة، كان لهن حظوة كبيرة في قرطبة (٥٦).

ولقد كان لهؤلاء الجواري دور كبير في بلاط قرطبة، وخاصة حين يخالف إحداهن الحظ. وتنجب لسيدها ولداً فتترقى بذلك إلى منزلة أرفع، ويطلق عليها لفظ "أم ولد" أي تساوي مع الحرة. أو كما يقول بروفنسال: تحمل اسم "الأميرة الأم". والتي عادة ما كانت تتمتع بعد وفاة مالكها، بالحرية وبكل ثروته الشخصية.(٥٧) وكانت طروب أحب نساء عبد الرحمن إليه، وأعظمهن سلطانا عليه. كما يقول ابن الآبار، في الحلة السيراء(٥٨).

وهناك "البهاء" بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ت ٣٠٥ هـ/ ٩١٨م)، و"لم يتخلف أحد عن جنازتها"(٥٩)، وإليها ينسب مسجد البهاء من مساجد ربض الرصافة(٦٠)، يقول عنها عبد الملك المراكشي كانت خيرة زاهدة، عابدة، شديدة الرغبة في الخير(٦١).

كما اشتهر أيضا مسجد "الشفاء" المنسوب لشفاء جارية الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي أعتقها وتزوجها وكانت من أجمل النساء عقلا ودينا وفضلا ونسبا، وإليها ينسب المسجد الذي وسط الربض الغربي من قرطبة وكفت ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن في صغره لوفاة أمه(٦٢). وكانت "الشفاء"، جميلة تقية عاقلة، خرجت مع زوجها الأمير في إحدى غزواته، فأصابها المرض، وماتت وهي في طريق العودة إلى قرطبة، ودفنت في قرية قريبة من طليطلة Toledo. وقد أهداها عبد الرحمن الأوسط، العقد الشهير بعقد الشفاء، الذي كان في الأصل عقد السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد، ثم انتهب في الفتنة التي قامت في بغداد بين ولدها الأمين واخيه المأمون، ثم اشتراه أحد التجار وباعه للأمير عبد الرحمن في الأندلس، والواقع أن الأمير عبد الرحمن كان يكن للشفاء معزة خاصة، لأنها قامت برعاية وإرضاع الطفل "محمد" ولي العهد في طفلها من الأمير. وكانت تحنو عليه، كأنها أمه، بعد أن ماتت أمه عقب ولادته مباشرة، وإن كانت المصادر لم تمدنا باسم أم محمد المذكور(٦٣).

كما كانت "فخر" ابنة بشر أبي الوليد الأديب الشاعر من جواري الأمير عبد الرحمن بن الحكم أيضا وشيدت مسجدها بقرطبة ولم يبق من أهل بيتها غيرها فافتقر الناس إليها وحملوا عنها(٦٤).

أما مسجد "شعاع" فينسب إلى شعاع جارية قاسم بن أصبغ البياتي مولاها، وكانت من صوالح النساء وإليها ينْسب المسجد الذي بربض الرصافة من قرطبة(٦٥). وهناك "متعة" التي أصبحت محظية للأمير عبد الرحمن الأوسط، وعندئذ أقامت مسجداً عرف باسمها، وعندما توفيت دفنت في مقبرة تقع إلى شمال الغربي من مقبرة عامر القرشي، وعرفت باسمها ونسبت إليها.(٦٦) وهناك أيضا أم سلمة التي أنشأت ربضاً ومسجداً عرف باسمها (٦٧).

وممن أوقفن على المساجد الداعية نظيرة أم الحسن أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي (٢٧٣هـ/٨٧٧ م – ٣٥٥ هـ/٩٦٦ م)، وكانت من خيرات النساء، فاضلة متعبدة في مسجد لها، لصق بيتها، وكانت مقيمة بفحص البلوط بلدهم، يقصدها عجائز ناحيتها وصوالح نسائهم للذكر والتفقه في الدين ودراسة سير العابدين، فكان لها ببلدها شأن كبير"(٦٨).

ونتيجة ذلك الاهتمام الواسع بالمساجد أن ظلت من أكثر الأماكن ملائمة للمرأة لسماع العلم فضلاً عن كونها أماكن للعبادة ورغم التطورات السياسية المتلاحقة في الأندلس وعدم الاستقرار الداخلي، والصراعات التي أصبح العنف أحد أبرز مظاهرها لم يتراجع حضور المرأة في المساجد، وسماعها العلم في الحلقات، وهذا يدل علي بقاء الاهتمام العام بمساعدة المرأة علي طلب العلم من خلال نوافذ متعددة.

وكانت توجد أماكن خاصة في تلك المساجد تمكن المرأة من الاستماع مباشرة إلى كبار المشايخ مثل ما يسمعه الرجال، وهكذا كان في استطاعة المرأة أن تتابع ما يعطى لمختلف الحاضرين من طلاب العلم.

كما حرصت أوقاف النساء على تنمية الوقف في الجانب العلمي الذي شمل أيضاً ما يرتبط بطلاب العلم وتوفير أماكن خاصة لهم، فطلاب العلم سواء أكانوا من الأندلس أم من كان يفد عليها من خارج الأندلس؛ كانت هناك أماكن مهيأة لهم توفر لهم الأكل والمشرب والمبيت.

كما تلقت المرأة الأندلسية العلوم من تلك المساجد التي قدمت إليها الخدمات التعليمية. وبرز من بينهن المحدثات، والفقيهات، والمتصوفات الواعظات والمرشدات اللاتي قضين معظم أوقاتهن في الارشاد والوعظ وتقديم ما استطعن تقديمه من أعمال البر والخير والإحسان(٦٩).

وبدأت المرأة الأندلسية تأخذ مكانها البارز في المجال العلمي، بدء من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وحتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي(٧٠). وقد عكسن في تلك الفترة بصدق الأفكار الاجتماعية والدينية التي كانت سائدة في عصرهن، كما اشتغلن بالعلوم اللغوية والدينية(٧١).

والجدير بالذكر أنه لم يكن للمسجد أن يقوم بهذا الدور التعليمي والحضاري إلا بفضل تمويل الوقف له، وقد شهد التاريخ الأندلسي نتيجة توفر أموال الوقف محدثات شهد لهن أهل العلم بعلمهم وفضلهم ومنهم: فاطمة بنت سعد الخير الأنصارية الأندلسية (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وكانت تروي المعجم الكبير للطبراني (٧٢)، وكتاب الضعفاء والمتروكين للدارقطني (٧٣).

وبرزت معلمات مارسن مهنة التعليم، فكن يتلقين أولاً دروسا في مدارس خاصة بهن مثلهن مثل الرجال، وذلك لإعدادهن إعداداً جيدا لتلك المهنة. ويذكر ريبيرا: "إن كثيرات منهن كرسن وقتهن للدراسة والتعليم وبرعن فيها" (٧٤).

وقد نبغت من بين هؤلاء المحدثات "غالبة" بنت محمد المعلمة الأندلسية، وكانت تروى عن أصبغ بن مالك الزاهد، وقد ذكرها مسلمة بن قاسم في كتاب النساء له (٧٥). ومن النساء المعلمات الفقيهات "راضية" مولاة عبد الرحمن بن محمد الناصر، وتدعى بنجم. فقيهة، وروى عنها أبو محمد ابن خزرج، وقال: عندي بعض كتبها. توفيت سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م، وقد نيفت على مائة عام بنحو سبعة أعوام(٧٦).

ثانياً: الوقف على المصاحف:

كما ارتبطت أوقاف النساء على المساجد بالأوقاف على المصاحف؛ حيث كانت المرأة الأندلسية سباقة إلى وقف المصاحف والكتب النفيسة والنافعة على طلاب العلم، حيث انتشر بين النساء في الأندلس الوقف على المصاحف منهن: البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم –السالفة الذكر– وكانت تكتب المصاحف وتوقفها أو تحبسها على

المساجد، وقضت فترة من حياتها في خدمة كتاب الله بنسخه بخط جيد وبارع، مراعية في ذلك خط رسم حروف القرآن الكريم(٧٧).

وكانت عائشة بنت أحمد القرطبية قد أوقفت على المصاحف تقربا إلى الله(٧٨) لارتباط ذلك العمل ارتباطاً وثيقاً بالنص القرآني المقدس، وتدوينه ولكونه الوسيلة التي حفظت القرآن الكريم(٧٩).

كما أوقف "النضار"، محظية الخليفة الحكم المستنصر، الوقف على المصاحف، وكانت هناك أيضاَ "علية" بنت علي بن نافع "زرياب"(٨٠). و"علية" بنت عَليّ بن نَافِع زرياب"(٨١). وكانت عالمة زاهدة عابدة، وشديدة الرغبة في فعل الخير بالمال والفعل الحسن في المجتمع، وقضت فترة من حياتها في خدمة كتاب الله بنسخه بخط جيد وبارع، مراعية في ذلك خط رسم حروف القرآن الكريم(٨٢).

وهذا النوع من الوقف بلا شك يساعد بعض النساء الفقيرات في امتهان صنعة وحرفة من الحرف، وظهرت نتيجة الاهتمام بالوقف على المصاحف مجموعة من النساء اللاتي شاركن في نسخ المصف الشريف؛ فيذكر عبد الواحد المراكشي أنه كان في الربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي، وكان هناك بعض النساء اللاتي تعلمن وتفنن في الدين ودرسن الأدب والشعر(٨٣).

وكان الربض الشرقي من قرطبة كان به مائة وسبعون امرأة كلهن يقمن بكتابة "القرآن الكريم" وتخطيطه بالخط الكوفي، ووضعه في مصاحب كل نسخة مستقلة عن الأخرى(٨٤). هذا من ناحية فقط من نواحي قرطبة، وهي الربض الشرقي فما بالنا ببقية الأراض العشرين الأخرى التي تحيط بمدينة قرطبة، بل والمدن الكثيرة الأخرى التي تضارع قرطبة اهتماما بالعلوم والثقافة. فلا بد أنها حذت حذو قرطبة، وإن لم تأخذ نفس الاهتمام في النقل والكتابة للمؤرخين، على اعتبار أن قرطبة هي العاصمة وبؤرة الضوء.

ومن أشهر الشخصيات اللاتي نلن شهرة عريضة في مجال الخطوط "قلم" جارية الأمير عبد الرحمن الأوسط ويقول عنها المقري: أنها كانت أديبة حسنة الخط، راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الأدب (٨٥).

وكانت هناك "مزنة" (ت٣٥٨هـ/٩٦٩م) من كاتبات الخليفة الناصر لدين الله، وكانت من أشهر نساخ المصحف الشريف والخط العربي(٨٦). وفي قصور خلفاء الأندلس،

ذاعت شهرة لبنى بنت عبد المولى (ت٣٧٤/٩٨٤) كاتبة الحكم المستنصر كانت مشاركة في العلم مباشرة للأدب والعلم بنبل أخلاقها وقد أبدعت في نسخ المصحف وفن الخط(٨٧).

ثالثاُ: الوقف على مكتبات المساجد:

من المعروف أنه مع إنشاء وقف المدارس والمساجد يذكر دائماً إنشاء ووقف المكتبات، وقد ازدهرت المكتبات الخاصة والعامة منذ العصور الإسلامية الأولى، وأسهمت في حركة النهضة ونشر العلم، وتعد المكتبة أهم مؤسسة يمكن أن تعمل على الرقي الحضاري للمجتمع الأندلسي لما لها من آثار تعليمية وثقافية وتربوية مهمة.

ونظرا لتلك الأهمية التي للمكتبات في كل العصور، فإن الأوقاف كانت هي المصدر الذي ينفق منه على المكتبات في الأندلس وما يلزمها(٨٨). وكان الإنفاق على المكتبات بصفة عامة في سائر مدن وحواضر الأندلس وبواديها من ريع الأوقاف التي توقف عليها.

وتعتبر مكتبات المساجد هي النواة التي قامت على أساسها كل أنواع المكتبات الأخرى، فكانت هناك مكتبة في كل مسجد تحتوي على كل أنواع الكتب دينية وثقافية . فخلال مدة إقامة المسلمين الطويلة في الأندلس وُجِد كثير من المكتبات الملحقة بالمساجد، ويستخدمها الناس الذين ليس لديهم مكتبات خاصة، فقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد لضمان حفظها وجَعْلها متاحة للطلاب الدارسين، وكانت هذه المكتبات تمتلئ بالكتب القيمة.

وهي قد حوت مكتبات المساجد عشرات الآلاف من الكتب في أصناف العلوم والثقافات والفنون والمعارف وكان يقوم على رعايتها وصيانتها موظفون وخطاطون ومترجمون وأمناء.

وقد كثرت مكتبات الأوقاف في الأندلس، وكانت تتاح فيها استعارة الكتب للجميع، وقد انتشرت مكتبات الوقف في الأندلس والمغرب على مر التاريخ، وكان شعب الأندلس يقبل على العلم للعلم ذاته، ومن ثم كان علماؤه متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون إليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم، وكان الرجل ينفق ما عنده من مال حتى يتعلم، ومتى عُرِف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال ويشير الناس إليه بالبنان.

أما العلماء فقل من تجده متبحراً في علم واحد أو علمين، بل فيهم من يعد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والأدباء والمؤرخين واللغويين (٨٩).

لقد كان من أهم الأبعاد الثقافية لمؤسسة الوقف(٩٠)، هو إنشاء المكتبات وتزويدها بالكتب في مختلف صنوف المعرفة وفتحها أمام طلاب العلم دون مقابل عكس ما هو عليه الحال في العصر الحاضر الذي أصبحت فيه المكتبات بالرسوم والاشتراكات الدورية، مع العلم أن المكتبات الوقفية نشأت في الحضارة العربية الإسلامية(٩١) تلبية لحاجة طلاب العلم غير القادرين على شراء الكتب التي كانت مرتفعة الثمن نظرا لنسخها باليد ذلك أن الطباعة لم تكن منتشرة في ذلك الزمان، وكذلك للتغلب على مصاعب الحصول على الكتب من أنحاء العالم الإسلامي(٩٢)، وعلى هذا كان قيام المكتبات منما عن عاطفة إنسانية وتضامن اجتماعي وعن نزعة علمية في وقت واحد، فأنشئت المكتبات الوقفية بجانب المساجد والمدارس والمستشفيات، بل قلما تجد مكان أو قرية صغيرة ليس فيها مكتبة(٩٣)، ولذلك فإن وقف الكتب كان هو الأساس الذي قامت عليه المكتبة العربية الإسلامية(٩٤).

ومن المكتبات الوقفية التي لعبت دورا هاما في التاريخ الإسلامي، منها المكتبة التي بناها ثم أوقفها بنو عمار في طرابلس الشام وكانت آية في السعة والضخامة إذ كان عدد الناسخين فيها يتناوبون العمل ليل نهار بحيث لا ينقطع النسخ فيها ويقال إنها حوت على مليون كتاب على أرجح الأقوال(٩٥).

وقد تنوعت المكتبات في الأندلس إلى مكتبات عامة وخاصة، فالمكتبات العامة هي المكتبات التي أنشأها الواقفون لعموم الناس وكانت ملحقة بالمساجد والمدارس والمستشفيات والزوايا، أما المكتبات الخاصة فهي التي كان ينشئها العلماء والملوك والأمراء والموسرون في منازلهم(٩٦).

رابعاً: الوقف على المدارس:

كان الوقف على المدارس من أهم "موارد التعليم على الإطلاق، وإليه يرجع الفضل في انتظام الحياة العلمية "(٩٧) حيث ساهم الوقف في تمويل مؤسسات التعليم والثقافة بدءا من مرحلة الطفولة وحتى المراحل الدراسية العليا(٩٨). ولقد كان للوقف الأثر البالغ في تشييد المدارس والمعاهد، في العالم الإسلامي من أدناه إلى أقصاه(٩٩)، وكانت تعتمد في تمويلها على موارد الأوقاف لذلك كان التعليم فيها مجانيا ومفتوحا للجميع.

وكان لتلك المدارس أثر واضح في نشر العلم بين أهل الأندلس والقادمين إليها وقد أدى توافد طلاب العلم من جميع أنحاء العالم إلى الأندلس إلى إنشاء الخانات الوقفية التي تؤويهم، إلى جانب تهيئة الطرق، وإقامة السقايات والأسبلة في هذه الطرق للمسافرين، وكذا دوابهم، وصاحب ذلك إنشاء الأربطة ودور العلم للطلاب الغرباء لإيوائهم، واستتبع ذلك ظهور الوقف للصرف على هؤلاء الطلاب باعتبارهم من طلاب العلم المستحقين للمساعدة في دار الغربة، ولا تخلو كل هذه المراحل والأنواع من جوانب اجتماعية للوقف لها دلالتها وأهميتها وأثرها في المجتمع بشكل عام .

وكانت المرأة "الجارية" ولأسباب اقتصادية تتلقى الكثير من التعليم، وكذلك كانت المرأة الحرة في الوسط الارستقراطي أيضا تنال قدراً كافيا من التعليم(١٠٠). وكان للنساء مشاركة فعالة في الوقف على المدارس، ودور التعليم في الأندلس على اختلافها، ووقف الأوقاف القائمة بها، فكانت "مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي الشلبي" توقف الأموال على شئون العلم، وكانت تعلم النساء الأدب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا، سكنت إشبيلية وشهرت بها بعد الأربعمائة ذكرها الحميدي وقال: أنشدني لها أصبغ بن سيد الإشبيلي : وما يرتجى من بنت سبعين حجة وسبع كنسج العنكبوت المهلهل تدب دبيب الطفل يسعى إلى العصا وتمشي بها مشي الأسير المكبل قال الحميدي : وأخبرني أن ابن المهند بعث إليها بدنانير وكتب إليها : ما لي بشكر الذي أوليت من قبل لو أنني حزت نطق الأنس والخبل يا فردة الظرف في هذا الزمان ويا وحيدة العصر في الإخلاص والعمل أشبهت مريما العذرا في ورع وفقت خنساء في الأشعار والمثل فكتبت إليه : من ذا يجاريك في قول وفي عمل وقد بدرت إلى فضل ولم تسل ما لي بشكر الذي نظمت في عنقي من اللآئي وما أوليت من قبل حليتني بحلى أصبحت زاهية بها على كل أنثى من حلى عطل لله أخلاقك الغر التي سقيت ماء الفرات فرقت رقة الغزل أشبهت في الشعر من غارت بدائعه وأنجدت وغدت من أحسن المثل من كان والده العضب المهند لم يلد من النسل غير البيض والأسل(١٠١).

انعكس ذلك على شؤن التعليم والحياة العلمية، وبرزت سيدات أندلسيات معلمات وعالمات استفدن من خدمات الوقف على المدارس، وقد ذكرت لنا المصادر معلمة اسمها "فخر" (ت ٣١٧هـ/٩٢٩م) (١٠٢)، وهناك " غالبة بنت محمد " المعلمة

الأندلسيّة على ما يسميها ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) في الصِّلَة (١٠٣)، وهناك مهجة القرطبية ومؤدبة ومعلمة لادة بنت المستكفي(١٠٤).

أدى الاهتمام بالوقف أيضاً أدى ذلك إلى فتح المجال أمام تعلم النساء، حيث توفرت لهن كل مستلزمات التعليم (١٠٥)؛ فمارست المرأة الأندلسية الاشتغال بالعلوم الدينية؛ فكانت هناك خديجة بنت أبي محمد بن سعيد، التي شاركت أباها في سماع الشيخ أبي ذر عبد بن احمد بن محمد الهروي الأنصاري المالكي (ت/ ٣٤٣٤ هـ - ١٠٤٢م)، وسمعا منه صحيح البخاري وغيره وذهبت إلي مكة المكرمة بصحبة أبيها، وسمعت هناك شيوخ مكة وعادت إلي الأندلس مرة أخري مع أبيها ويروي ابن بشكوال إن والدها أرخ عنها بخط يده في كتاباته(١٠٦).

ومنهن أيضا فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي الباجي، التي شاركت أخاها المحدث عبد الله بن محمد بن علي المعروف بن الباجي (ت/ ٣٧٨ هـ - ٩٨٨م) في بعض شيوخه، كما أجازهما معاً الشيخ أبو عبد الله محمد بن فطيس الإلبيري (ت/ ٣١٩هـ - ٩٣١م)(١٠٧).

ومنهن أمة الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن الزاهد (ت/ ٤٤٦هـ - ١٠٥٤م)، وقد كانت تروي عن أبيها، الذي تلقت كل علومها عنه، ووهبت حياتها للعلم والتعليم(١٠٨). وهناك خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي، زوج عبد الله بن أسعد الفقيه. حدثت عن زوجها الفقيه عبد الله بن أسد(١٠٩)، وهناك الفقيهة طونة بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع، وتكني بحبيبة. وهي زوج أبي القاسم بن مدير الخطيب المقرئ. أخذت علومها عن الحافظ أبي عمر بن عبد البر النمري وقرأت بعض مصنفاته الفقهية، وسمع زوجها أبو القاسم المقرئ بقراءتها عليه، وكانت حسنة الخط، ووصفت بالدين والعلم وجلالة القدر. توفيت سنة ٥٠٦ه/١١١٢م(١١٠).

وهناك فاطمة ابنة أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى عالم الرياضيات والكيمياء والفلك هى عالمة فلكية عاشت فى الأندلس فى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الميلادى، وتعتبر من الأسماء المعترف بها عالميًا كإحدى الفلكيات اللواتى قدمن مساهمات مهمة وكبيرة فى علم الفلك فى تلك الحقبة الزمنية، لقبها المجريطية نسبة إلى والدها المجريطى لأن كان أصله من مدينة مجريط التي ولد بها. تتلمذت فاطمة على يدى والدها وعاصرته فى دراساته وأبحاثه سواءً فى علوم الرياضيات أو فى علم

الفلك، وقد عاشت فى قرطبة عاصمة الخلافة، ووصلت إلى معرفة عالية بعلم الفلك فى عصرها، بل إنها دخلت مجال التأليف حيث تعتبر "تصحيحات فاطمة" من أبرز ما كتبت، ومن مؤلفاتها أيضًا رسالة حول الإسطرلاب حيث تشرح فيه كيفية استخدام هذه الأداة الفلكية في الحساب والرصد الفلكي، وهذا الكتاب محفوظ حتى اليوم في مكتبة الإسكوريال الشهيرة في إسبانيا(١١١).

وفي مجال علوم الحديث وروايته نجد "راضية" السابقة الذكر مولاة الخليفة عبد الرحمن الناصر (١١٢). أما خديجة بنت أبي محمد بن سعيد الشنتجيالي، فقد شاركت أباها الشيخ أبي ذر بن أحمد الهروي. وسمعا منه صحيح البخاري وغيره، وذهبت إلى مكة المكرمة بصحبة أبيها، وسمعت هناك من شيوخ مكة وعادت إلى الأندلس مرة أخرى مع أبيها(١١٣).

ومن هؤلاء المحدثات كذلك غالبة بنت محمد المعلمة الأندلسيّة، وكانت تروى عن أصبغ بن مالك الزاهد(١١٤). ومنهن كذلك عابدة المدينة جارية دحون الوليد بن حبيب المرواني، وكانت جارية سوداء أهديت إليه عندما حج، وقد اشتهرت برواية الحديث عن الإمام مالك بن أنس وغيره حتى قيل أنها تسند عشرة آلاف حديث. أي تحفظها بسندها. وقد أعجب بها الوليد، وقدم بها إلى الأندلس، فتزوجها واستولدها ابنه بشرا(١١٥).

وهناك أسماء بنت أبي داوود سليمان بن أبي القاسم نجاح مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله (١١٦) العالمة الأندلسيّة التي نشأت في بيت علمي متكامل الخصوصية جمع بين الأدب والعلم والأخلاق والتسامح والكرم والشجاعة والعفة.. وما إلى ذلك من الصفات الحميدة(١١٧).

وأيضاً نتيجة توفر تلك الأوقاف التي تشجع على العلم أن برزت شخصيات نسائية أندلسية وجدنا الشاعرات والاديبات منهن خيرات يوقفن الأوقاف بجزل وعطاء؛ فكان منهن: مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري السلبي "الأنصاري"، عاشت في إشبيلية بعد سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) ويرجع أصل عائلتها إلي مدينة شلب بغرب الأندلس كانت أديبة شاعرة جزلة مشهورة بالعطاء وكانت تعلم النساء الأدب وتحثهم لدينهم وعمرت طويلا(١١٨). ومنهن أيضاً أم العلاء بنت يوسف الحجارية وهي من وادي الحجارة،

ذكرها ابن سعيد في كتاب "المغرب في حلي المغرب" وقال عنها كانت شاعرة تفخر ببلدها، وقبيلتها وكانت تتمتع بقسط وافر من الحرية(١١٩).

ومن هؤلاء الشاعرات بثينة ابنة المعتمد من زوجه اعتماد الرميكية، فهي لم تكتب أكثر من احد عشر بيتاً، ثابتة التعبير رصينة الإيقاع وكانت كافية لتخليدها، فبعد سقوط اشبيلية في أيدي المرابطين حاولت الهرب، ولكنها وقعت في يد رجل يجهل حالها فباعها إلي تاجر، وفكر هذا أن يقدمها امة إلي ابنه ولكن الفتاة الشجاعة، وقد رأت شرف من أخذها وصلاحه قررت أخيراً أن تقول لهم من هي، وقالت لا احل لك إلا بعقد النكاح أن رضي أبي بذلك، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها وانتظار جوابه، فكان الذي كتبته من نظمها ما صورته(١٢٠).

لا تنكروا أني سُبيت وأنني... بنت لملك من بني عباد
فخرجت هاربة فحازني أمرؤ... لم يأت في إعجابه بسداد
إذ باعني بيع العبيد فضمني... من صانني من الأنكاد
وارادنني لنكاح نجل طاهر... حسن الخلائق من بني الإنجاد
ومضي إليك يسوم رأيك في الرضي... ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به... إن كنت ممن يُرتجي لوداد
وعسي رميكة الملوك بفضلها... تدعو لنا باليمن والإسعاد.

فلما وصل شعرها لأبيها وهو بأغمات، وقع شراك الكروب والأزمات سُر هو وأمها بحياتها وإذا كانت ابنته قد تزوجت من رجل دونها طبقة ومستوي، فقد احتفظت علي الأقل بنبل روحها(١٢١).

وما كانت المرأة الأندلسية المسلمة تصل إلي ذلك الإبداع الأدبي والعلمي إلا بالحرية التي قدمت إليها، فما كان إلا أن اغتنمتها ولم تسيء فهمها، فأخرجت منها روائع خلدتها كتب التراجم والتاريخ، وهذا يدل علي اهتمام كبير بالمرأة الأندلسية المسلمة والحرص علي أن تأخذ قسطا وافرا من التعليم(١٢٢).

المبحث الثاني
أوقاف المرأة الأندلسية ودورها الاجتماعي

ساهمت أوقاف المرأة بنصيب وافر في دعم المجتمع الأندلسي بصور شتى؛ فقد كان إنشاء وقفيات من أجل قضايا البر من أول أعمال التقوى وأهمها على الاطلاق. وتعمل الأوقاف على تقديم الخدمات الاجتماعية والاهتمام بالمجتمع وعناية أفراده؛ ولذا كانت النساء من ذوات البر جديرات بالذكر في معاجم التراجم. فالوقف يظهر ملكية النساء لتلك الممتلكات، وهو شأن متجذر في الشريعة الإسلامية، ولكنه كان موضع تساؤل في الماضي من قبل معظم مراقبي المجتمع الإسلامي. كما أن الوقفيات منحت النساء نوعاً من النفوذ الاجتماعي. كما عملت تلك الوقفيات على دعم ثقافة التشارك والتعايش بين طبقات المجتمع.

وقامت أوقاف النساء في الأندلس بلا شك الأوقاف بدور كبير في مجال التضامن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، لأنها وإن تعددت جهاتها وأبعادها، تؤول إلى جهة بر لا ينقطع، وهي في الغالب للفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والغرباء والمنقطعين والضعفاء والحاجات والأطفال المحرومين، وهو ضرب من التعاون في كل ما ينفع الناس، وهو ما يسمى اليوم بالتكافل والرعاية الاجتماعية.

كما ساهمت وقفيات النساء في أعمال البر والخير؛ فنجد رشيدة الواعظة كانت توقف الأوقاف على عمل الخيرات، كما ذكر ابن الأبار عنها أنها كانت "تجول في بلاد الأندلس تعظ النساء وتذكرهن بعمل الخير، وكان لها صيت واتصاف بالخير(١٢٣). وهذا الاتصاف بالخير بطبيعة الأحوال ينطبق على كافة مناحي الخيرات بما فيها الوقف.

وفي الوقف نجد حل لكثير من المشاكل الاجتماعية التي تنتاب المجتمع في كل عصر وحين؛ فانطلقت أوقاف النساء في الأندلس من ذلك الدور الخيري نحو آفاق أخرى تتعلق بالاندماج في شبكة العلاقات الاجتماعية؛ فكان لتلك الأوقاف دورها الفعال في الحياة الاجتماعية في الأندلس، وعملت على سد حاجات أفراد المجتمع عن طريق الوقف، فالوقف من حيث بعده الاجتماعي يبرهن على الحس التراحمي الذي يمتلكه المسلم ويترجمه بشكل عملي في تفاعله مع هموم مجتمعه الكبير، ويبدو هذا جلياً في رصد التطور النوعي للوقف على امتداد القرون الأربعة عشر.

امتازت هؤلاء النساء الواقفات بالأندلس بوعي اجتماعي وديني وعلمي، مما ساعدهن على تقديم خدمات اجتماعية متميزة، وقد ساهمت المرأة الأندلسية بنصيب وافر في الاهتمام بأوقاف رعاية ومساعدة المرضى والفقراء والأيتام والعجزة، وقد أدت دورها الاجتماعي باقتدار بحثاً عن الأجر والمثوبة والمشاركة الاجتماعية الفعالة؛ فهناك مجالات لا تتقنها إلا المرأة كالقضايا الأسرية ورعاية اليتامى والنساء الأرامل فنجد السيدة "عَجَب" ذات السلطانٍ الواسع أيام الحكم بن هشام الربضي (١٨٠ – ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ – ٨٢٢ م) تقوم ببناء منية عرفت بمنية عجب بعدوة النهر المحبسة وجعلتها للمرضى وكانت على قدر كبير من التعليم والتفقه في الدين(١٢٤).

كما عملت الشفاء –حظية الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الموصوفة بالعقل والجزالة إلى الحسن والبراعة– على خدمة المرضى والضعفاء ولها أوقاف في سبيل البر كثيرة، وقد رعت الشفاء ابن زوجها عندما تيتم فكانت مربية فاضلة محبة للخير والعمل الخيري(١٢٥).

إن هذه الرعاية تعبير عملي عن روح التضامن الاجتماعي الحقيقي الذي غرسه الإسلام في النفوس، وجعله من أهم مرتكزات نظامه الاجتماعي الذي يستهدف تحقيق مصلحة المجتمع عامة.

كما ساهمت أوقاف المرأة في انشاء المدارس ودور التعليم على اختلافها، ووقف الأوقاف القائمة بها، وكانت مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي الشلبي "تعلم النِّساء في إشبيلية تطوف على البيوت لتعلم بناتها وأبناءها النحو والصرف، والأدب في خلافة المهدى صاحب إشبيلية، وإن كان يبدو عليها أنها كانت تعلم الرجال أيضاً كما يستدل من القصيدة التي شكرها فيها المهند على تعليمها له(١٢٦).

وذكرت لنا المصادر معلمة أخرى اسمها "فخر" (ت ٣١٧هـ/٩٢٩م) وكانت معلمة فاضلة(١٢٧)، وكذلك " غالبة بنت محمد " المعلمة الأندلسيّة(١٢٨).

إضافة إلى الرغبة في القيام بأعمال الخير ولتخليد أسمائهن، فقد أنشأت النساء الأوقاف في محاولة لحماية ممتلكاتهن من المصادرة. وكان للمرأة الأندلسية الحق في المطالبة بالحقوق المادية فيما يتعلق بالوقف إذا تعرضت إلي الظلم فإذا لم تستطع أخذه بالطرق المعروفة آنذاك كان من حقها أن ترفع دعواها إلي الأمير رأس الدولة. ومن الأمثلة في هذا الموضوع قصة الشاعرة حسانة التميمية(١٢٩)، وها هي تنشد قصيدة لها في مديح

الأمير الحكم بن هشام تستعطفه وتشكو إليه فقد أبيها، ومرارة العيش بعد أن سلبت أملاكها وأوقافها تعرضت للظلم والغبن فأنشدت قصيدة محكمة النسج تشبه روائع الشعر المشرقي، وقد ألمحت فيها حسانة إلي بعض قصائد المديح المشهورة القديمة، التي قالها شعراء العصر الأموي في عبد الملك وأبنائه، وهم أجداد الحكم "أمير قرطبة في عصرها"(١٣٠). فتقول حسانة تخاطب الحكم(١٣١):

إني إليك أبا العاصي موجعة ... أبا الحسين، سقته الواكف الديم
فقد كنت أرتع في نعماه عاكفة ... فاليوم آوي إلي نعملك يا حكم
أنت الإمام الذي انقاد الأنام له ... وملكته مقاليد النهي الأمم
لا شيء أخشي إذا ما كنت لي كنفاً... آوي إليه ولا يعزوني العدم
لا زلت بالعزة القعساء مرتدياً ... حتي تذل إليك العرب والعجم.

فلما وقف الحكم علي شعرها استحسنه، وأمر لها بإجراء راتب دائم وكتب إلي عامله علي البيرة فجهزها بجهاز حسن (١٣٢)، كما ضربت مثلاً آخر رائعا في عدم استكانة المرأة المسلمة الأندلسية التي يقع عليها ظلم.

وبعد موت الأمير الحكم، ينكث عامل البيرة جابر ابن لبيد بوعده ويحتجز أملاكها ويوقف راتبها، فلا تستسلم الشاعر بل تمضى إلي الأمير الجديد عبد الرحمن بن الحكم المعروف بعبد الرحمن الأوسط، ويؤذن لها فتنشد أمام الأمير رائيتها المشهورة التي هي نموذج فني رائع للمديح والشكوى والاستعطاف وجزالة الشعر العربي، فأنشدت حسانة قائلة(١٣٣):

إلي ذي الندي والمج سارت ركائبي علي شحط تصلبي بنار الهواجر
ليبجر صدعي إنه خير جابر ويمنعني من ذي الظلامة جابر
فإني وأيتامي بقبضة كفه كذي ريش أضحي في مخالب كاسر
جدير مثلي أن يقال مرعة لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حياً لما اعتدي علي زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذي خطته يمناه جابر لقد سام بالأملاك إحدي الكبائر

ولما فرغت رفعت إليه خط والده "الحكم الربضي" بالرقعة التي عقدها لها فإخذها، ووضعها علي عينيه وبكي، ثم ثال تعدي بن لبيد طوره ونقض رأي الحكم، انصرفي

يا حسانة فقد عزلته لك، ووقع لها علي عهد جديد مثل أبيه وأمر لها بجائزة فانصرفت راضية مسرورة وبعثت إليه بقصيدة أخري منها(١٣٤):

ابن الهشامين خير الناس مآثره وخير منتجع يوماً لرواد
قل للإمام أيا خير الوري نسباً مقابلاً بين بين آباء وأجداد
فإن أقمت ففي نعمالك عاطفه وإن رحلت، فقط زودتني زادي

وقد أدت تلك الأوقاف دورا مهماً في تحقيق الرعاية الاجتماعية الشاملة؛ فالأوقاف باعتبارها صدقة جارية قد قامت بدور كبير في مجال الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي في المجتمع الأندلسي، فمن اللافت للنظر أن وثائق الأوقاف في غالبها تنص على مساعدة الفقراء والمحتاجين، بل إن هذا يعد ركناً أساسياً في الوقف، إلا أن المساعدات تكون بأشكال وأنواع مختلفة، فمن ذلك توزيع المساعدات النقدية، وغيرها أحياناً . فقد اشتهرت المَرْأَة الأندلسيّة بمساعدة الفقراء فنجد خَوْلَة بنت عَليّ بن طَالب بن عبد الله بن تَمِيم الفهرية من أهل باجة كانت ذات بَيَان وعارضة تلقى الْعمَّال في حوائجها(١٣٥).

وقد عمل بعضهن على عتق الرقبة من أموال الأوقاف، كما فعلت مزاحمة بنت مزاحم بن محمد الثقفي الجزيري عندما اعتقت نَاصح الثَّقَفِيّ الجزيري الذي كان عبدا لمزاحمة بنت مُزَاحم الثَّقَفِيّ الجزيري اعتقته وزوجته وحبست عليه ضيعتها بقرية (لنقيلة) في الجزيرة الخضراء(١٣٦).

كما قام بعضهن ببناء مقابر للصدقات وتوقيف الأوقاف عليها، منها ما قامت به متعة أم أبي عثمان سعيد بن الحكم التي شيدت مقبرة لموتى المسلمين ولها حباسات كثيرة في سبيل الخير والبر وهي من كرائم النساء(١٣٧)، ومنهن مؤمرة من حظايا الأمير عبد الرحمن بن الحكم واعتقها وتزوجها وتنسب إليها المقبرة التي بطرف الربض الغربي من قرطبة(١٣٨). ومنهن مؤمرة. التي أطلقت اسمها على جبانة في قرطبة، بعد أن جهزتها على نفقها الخاصة.(١٣٩) وهناك أيضا أم سلمة التي مقبرة عند أحد الأبواب في السور الشمالي لقرطبة عرفت بمقبرة أم سلمة(١٤٠).

وهناك خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي زوج عبد الله بن أسد الفقيه حدثت عن زوجها عبد الله بموطأ القعنبي قراءة عليه بلفظها في أصله وقيدت فيه سماعها بخطها في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة. سمعت شيخنا أبا الحسن بن مغيث

رحمه الله يذكر ذلك، وذكر لي أن الكتاب عنده، ثم رأيته بعد ذلك على حسب ما ذكره رحمه الله، ورأيت من تحبيسها كتبا كثيرة على ابنتها ابنة أبي محمد بن أسد الفقيه(١٤١). كما ألقت عائشة بنت أحمد القرطبية، بجاهها ومكانتها وعلمها في خدمة المجتمع فكانت بسبب تلك المكانة "لا ترد شفاعتها"(١٤٢).

تلك أمثلة كنماذج مشرقة ومشرفة للنساء الخالدات وإسهامهن في بناء الحضارة عبر الوقف، الذي يعد رمز النهضة العلمية والازدهار الاجتماعي في الأندلس. وتأسيساً على ما سبق يمكن القول إن وقف المرأة في الأندلس كانت له بصمة في كل مناحي المجتمع، تمثل في الحياة العامة وفي المساجد والمكتبات والمدارس وأعمال الخير، والأندلس كانت من أعظم الدول الإسلامية التي اشتهرت بوقف وقف النساء في تاريخ المسلمين.

وكان للوقف عموما ووقف المرأة خصوصاً؛ دور بارز في دفع الحركة التعليمية في البلاد الإسلامية؛ كما كان السبب الرئيسي في أغلب الإنجازات العلمية التي شهدتها الأندلس، ومن خلال رصد شامل لتجليات هذا الوقف والوقوف على جوانبه ومظاهره وأنواعه؛ نجد أنه كان عاملاً من عوامل القوة وثبات الأمة الأندلسية وازدهارها وتألقها وتمدنها عبر التاريخ الإنساني العام.

نتائج الدراسة:

نستنتج مما سبق ما يلي:

كان للمَرْأَة الأندلسيّة حضور قوى في كثير من ضروب الحياة في ذلك الوقت. ولم تكن منزوية على نفسها في المجتمع ولعبت دوراً رئيسياً فيه.

ساهمت المَرْأَة الأندلسيّة –جارية أو حرَّة– بقدر متنام من المشاركة الاجتماعية والعمل الخيري في مختلف عُصور الحكم الإسلامي للأندلس، وكانت مساهمتها فاعلةً.

كانت تلك الأعمال الخيرية لها دور كبير في محاولة إصلاح الفساد الأخلاقي في الدولة الأندلسيّة الذي جاء نتيجة الترف والانغماس في الملذات. ومن ثم كان لعدد منهن دور ايجابي في مقاومة تلك الآفات الاجتماعية عن طريق العمل الدعوي والوقف الخيري.

ارتبط إسهام المرأة الأندلسية في الوقف بمكانتها في المجتمع ودورها الحضاري فكان لهن دور فعال في وقف الأوقاف، وتسابقن إلى الخيرات؛ رجاء الثواب أولا وبناء وتعمير الأرض ثانيا، فهي إذن ليست نصف المجتمع المعطل كما أراد لها بعض المغرضين.

كان لوقف المرأة في الأندلس بصمة في كل أثر علمي واجتماعي مزدهر هناك، تمثل في الحياة العامة وفي المساجد والمكتبات والمدارس وأعمال الخير وفي كل شيء، ونستنتج بأنه كان عاملاً من عوامل القوة وثبات الأمة الأندلسية وازدهارها وتألقها وتمدنها عبر التاريخ الإنساني العام. وكان التعليم في الأندلس لم يقم له مقام إلا من ريع الأوقاف.

لعب الوقف في الأندلس دوراً كبيراً في العمل المشترك بين الدولة والمجتمع، وعملت على دعم ثقافة التشارك والتعايش بين طبقات المجتمع.

كان لوقف المرأة في الأندلس أهمية قصوى وجليلة في نشر سبل الارتقاء والتمدن الحضاري والعلمي والثقافي والاجتماعي، فقد عنيت هذه المؤسسة بالأمور الاجتماعية والحياتية في الأندلس، وهي بذلك مظهر عظيم وجليل من مظاهر النهضة الأخلاقية والاجتماعية، والثقافية، فتعددت الأغراض والجهات التي كان يوقف عليها من مساجد ومدارس ورباطات ودور الأيتام وعابر السبيل ومساعدة الأرامل والفقراء واليتامى ورعاية العلم وطلابه وعناية بالعلماء .

ساهمت المَرْأَة الأندلسيّة بنصيب وافر في أوقاف تهتم بالمرضى ومساعدة الفقراء والأيتام.

كان للأوقاف دور مهم فيدعم ولحركة العلمية وتأصيل سبل التكافل الاجتماعي في الأندلس.

توصيات الدراسة:

خرجت الدراسة بعدة توصيات وهي:

١- ضرورة إعادة الاعتبار لدور الوقف في المجتمعات الإسلامية؛ كي تعود الأمة الإسلامية إلى سابق عهدها من التقدم العلمي والشهود الحضاري.

٢ – ضرورة قيام دراسات وأبحاث تفصيلية عن دور المَرْأَة الأَنْدَلُسيّة في كافة المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية..

٣-وضع ترجمات للمَرْأَة الأَنْدَلُسيّة ونشرها في المؤسسات الأكاديمية المهتمة بالمَرْأَة ودورها في المجتمع عبر التاريخ وذلك ليتسنى للأجيال القادمة الاطلاع على دور المَرْأَة الحيوي في الإسلام.

٤ – تربية الأبناء والجيل الجديد على قيم وثقافة وتراث أجدادنا المهتمين بالعمل الخيري وإيجاد جيل واعي ومدرك لقيمة هذا المخزون الحضاري والثقافي العظيم.

٥-تخصيص أحد المؤتمرات القادمة لموضوع دور المَرْأَة في العمل الخيري سواء في المشرق أو المغرب على حد سواء.

ملاحق البحث

ملحق رقم «١»

وثيقة عن حق المَرْأَة في امتلاك استغلالية وحقها في التصرف فيها بالبيع والشراء(١٤٣)

وخوطب –رضي الله عنه– من مدينة بَلَنْسِيَة بنسخة عقد مبايعة وقع بين امرأتين في ملك ثبت عند حاكم الموضع. فحكم به وأمضاه. ثم رجع من شهوده رجلان، فخشي الحاكم أن يبطل العقد بسبب رجوعهما عن الشهادة. فبعث إليه بنسخته سائلا عن ذلك، والسؤال بعقبه. و هذا نص جميع ذلك من أوله إلى أخره. بسم الله الرحمن الرحيم. اشترت إدلال أم ولد فلان من عائشة بنت فلان جميع الدار التي بحاضرة بَلَنْسِيَة وداخل سورها المحدث، وبحومة كذا و منتهى حدها كذا، وجميع الجنة التي بخارج مدينة بَلَنْسِيَة بموضع كذا، ومنتهى حدها كذا بعامة جميع حقوق الدار والجنة المبيعتين المحدودتين فوق هذا و منافعهما ومرافقهما الداخلة فيهما و الخارجة عنهما و بقاعة ذلك كله و بنيانه و أنقاضه. علو ذلك كله وسفله، و بما في الجنة من ضروب الشجرات و أنواع الغراسات المثمرة و غير المثمرة اشتراءً صحيحا تاما مبتولا دون شرط و لا ثنيا و لا خيار عرفتا قدر ذلك ومبلغه بثمن مبلغه كذا. برئت المبتاعة إدلال المذكورة بجميعه إلى البائعة عائشة المذكورة طيبا جيدا مقلبا.وقد باعته البائعة المذكورة منها على الصفة المذكورة وأبرأتها منه براءة تامة. وخلص للمبتاعة المذكورة إدلال ملك جميع ذلك. و حلت فيه محل البائعة المذكورة. ونزلت منزلتها ومحل ذي الملك في ملكه على سنة الْمُسْلِمِين في بيوعهم و مراجع إدراكهم بينهم. شهد على إشهاد المتبايعتين إدلال وعائشة المذكورتين على أنفسهما بالمذكور في هذا الكتاب عنهما من سمعه منهما و عرفهما وإدلال منهما بحال صحة و جواز أمر و عائشة المذكورة عليلة الجسم ثابتة العقل و الذهن. و عاين قبض البائعة عائشة الثمن الموصوف من المبتاعة إدلال، وذلك في شهر رمضان سنة خمس عشرة و خمسمائة.

ملحق رقم «٢»

نموذج لوثيقة وقف عقدها رجل لابنه وابنته كوقف في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي(١٤٤)

هذا كتاب حبس صدقة مؤبدة عقده فلان بن فلان الفلاني لإبنه فلان الصغير في حجره وولاية نظره أو لأبنته فلانة الصغيرة في حجره وولاية نظره أو لإبنيه فلان وفلانة الصغيرين في حجره أو لبنيه فلان وفلان وفلان، وتقول في أثر كل فصل (ولكل ولد يحدث له ذكر أو أنثى باقى عمره أن قضى الله عز وجل له بذلك)، في جميع الدار المفصلة بحاضرة قرطبة بشرقي أو بغربي مدينتها بربض كذا بحومة مسجد كذا، ومنتهى حدودها في القبلة كذا وفي الجوف كذا وفي الشرق كذا وفي الغرب إلى كذا ثم تقول)بحقوقها كلها ومنافعها ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها (وإن كانت ملكا قلت) في جميع ما حوت أملاكه وضمته فوائده بوجوه المكاسب وأنواع الفوائد كلها) بقرية كذا من اقليم كذا من عمل قرطبة أو من كورة كذا في دور هذه القرية وأفنيتها وأنادرها ودمنها وأرضها معمورها وبورها وشجر زيتونا وحدائق أعنابها (وتصف جميع ما فيها، ثم تقول)وحقوها كلها إلى أقصى أحواز هذه القرية ومنتهى حدودها وما كان مضمومها بها إلى الأملاك المذكورة فيه من أحواز القرى المجاورة لها...).

وإن أراد المحبس التفضيل لبنيه قلت) :للذكر منهم مثل حظ الأنثيين (فإن دخل الأعقاب مع الآباء في حياة الآباء قلت :وعلى اعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا، ومن مات منهم من غير عقب رجع نصيبه إلى الباقين، وإن أراد المحبس أن يأخذ الأعقاب كما يأخذ الآباء قلت بعد قولك) :وعلى أعقابهم) (وأعقاب أعقابهم على السواء بينهم(، وإن لم يرد التسوية بينهم سكت عن هذا، وسل المحبس عن كل فصل وعن كيفيته فيه، وكذلك تعقده على ما يريده فله شرطه في حباسته ...ثم تقول:) فإذا لنقرضوا كلهم ولم يبق منهم أحد رجع ذلك حبسا وقفا مع الدهر على المرضى الذين بعدوة نهر قرطبة أو على مساكين كذا، تفرق عليهم غلته عاما بعام عليهم بعد أن تقام منها مصالح الأملاك المذكورة وما وهي من بنيانها وما يستدام به فاتها ويستعزر به نفعها إن شاء الله ما دار الليل والنهار وتعاقبت الأزمان لا يغير عن حالته ولا يبدل عن سبيله حتى يرثه الله عز وجل قائما على أصوله محفوظا على شروطه وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن سعى في تغييره أو في تبديل شيء منه فالله سائله الذاب عنه، والمدافع دونه ومتولى الانتقام

منه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وعرف الحبس فلان قدر ما عقد فيه هذا التحبيس المذكور وأحاط علما بمبلغه وأراد به وجه الله العظيم ورجاء عليه ثوابه الجسيم وعند الله حسن الثواب وكريم المآب ...(ثم تقول) :شهد على إشهاد المحبس فلان بن فلان على نفسه بما ذكر عنه في هذا الكتاب وتمضى إلى التأريخ وهذا الكتاب على نسخ).

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات.

- ابن الحاج، أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن أَحْمَدُ بن خلف بن إِبْرَاهِيم التِّجِيبي، (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م):

١- نوازل ابن الحاج، مخطوط بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، الرباط، تحت رقم:ج٥٥.

ثانياً: المصادر العربية.

- ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى (ت ٢٥٨هـ/ ١٢٦٠م):

٢- التَّكملة لكتاب الصِّلَة، تحقيق : إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، ١٩٨٩م.

٣- الحُلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م):

٤- كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦.

- الحميدي، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م):

٥- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

٦- طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٠.

٧- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤م.

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م):

٨- المقتبس، السفر الثاني، تحقيق: محمود مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٣م.

- الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م):

٩- كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م.

- الخشني، أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن حارث بن أسد القَيْرَواني، (ت ٣٦١هـ/٩٧٢م):

١٠- قضاة قرطبة، الدار المصرية للتـأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عَبْد الله مُحَمَّد التلمساني، (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م).

١١- الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق:محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة، ٢٠٠١م.

- ابن رشد، أبو الوليد مُحَمَّد بن أَحْمَدُ القرطبي، (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م):

١٢- فتاوي ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطَاهِر التّليلي، دار الغرب الإسْـلامي، بيـروت، ١٩٨٧م

- ابن الزبير، أَحْمَدُ بن إِبْرَاهِيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م):

١٣- صلة الصِّلَة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م

- ابن سعيد، علي بن مُوْسَى، (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

١٤- المُغْرِب في حلي الْمَغْرِب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ١٩٩٩

- الضبى، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م):

١٥- بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

- الطرابلسي، إبراهيم بن موسى (ت٩٢٢هـ / ١٥٦٦م):

١٦- الإسعاف في أحكام الأوقاف، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م.

- السرخسي، شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل(ت ٤٩٠هـ/١٠٩٦م):

١٧- المبسوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣ م.

- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عَبْد الله بن مُحَمَّد الأنصاري الأوسي،ت ٧٠٣ هـ/١٣٠٣م:

١٨- الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م

- ابن عذارى المراكشي، أبو عبد الله محمد المراكشي (توفي في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي:

١٩- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أربعة أجزاء. الجزء الثالث، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٠ م.

- ابن العطار، مُحَمَّد بن أَحْمَدُ الأموي، (ت ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م):

٢٠- كتاب الوَثَائِق والسجلات، اعتنى بتَحْقِيقه ونشره ب.شالميتا، و ف. كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي المعهد الاسباني العربي للثقافة، مطابع رايكاش. م للطباعة العربية، مدريد ١٩٨٣ م

- المراكشي، عبد الواحد محي الدين بن علي، (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م):

٢١- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣.

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٢م):

٢٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

- ابن منظور، جمال الدين أبو الفَضْل مُحَمَّد بن مكرم بن علي، (ت٧١١هـ/١٣١١م):

٢٣- لسان العرب، (منشورات دار صادر، بيروت، د.ت).

- الونشريسي، أبو الْعَبَّاس أَحْمَدُ بن يحيى التّلمساني، (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م):

٢٤- المعيار المُعْرِب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجّي، دار الغرب الإِسْلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

ثالثاً: المراجع العربية.

٢٥- السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.

٢٦- الطاهر مكي: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٧- أنور محمود زناتي: الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية، ضمن كتاب: أندلسيات، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٣م.

٢٨- تريزا جارولو : ديوان شواعر الأندلس، ترجمة : منى ربيع بسطاوى، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٣م.

٢٩- رواية شافع: المرأة فى المجتمع الأندلسي من الفتح الاسلامى للأندلس حتى سقوط قرطبة، عين للدراسات والبحوث الانسانية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٣٠- رعد محمود البرهاوي: خدمات الاوقاف في الحضارة العربية الاسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٢م.

٣١- سهى بعيون: إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس في عصر ملوك الطوائف ٤٢٢ – ٤٧٩هـ/ ١٠٣١ – ١٠٨٦م، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٤م.

٣٢- علي عبد العظيم: ابن زيدون، دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٧م.

٣٣- عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١١م.
٣٤- ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية(النظم والمؤسسات)، ترجمة الى الاسبانية اميليو جاريث جومث وترجمة الى العربية على عبد الرؤوف البمبى وآخرون، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٥- محمد الأرناؤوط: دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م
٣٦- محمد أبو الأجفان: الوقف على المسجد في المغرب والأندلس وأثره في التنمية والتوزيع، دراسات في الاقتصاد الإسلامي، بحوث مختارة من المؤتمر الدولي الثاني للاقتصاد الإسلامي، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
٣٧- محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٧٨م
٣٨- محمد بنعبد الله: الوقف في الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٦-١٩٩٦
٣٩- محمد عجاج الخطيب: لمحات في المكتبة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م
٤٠- محمد محمد الأمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.
٤١- محمد مصطفى شلبي: أحكام الوصايا والأوقاف، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٢م.
٤٢- مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٤٣- هنري بيرس: الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، ١٩٩٠.
٤٤- يحيى بن محمود بن جنيد: الوقف والمجتمع: نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي. مؤسسة اليمامة الصحفية، سلسلة كتاب الرياض؛ ٣٩، الرياض، ٢٠٠٩م.
٤٥- ــــــــــــــــــ: الوقف وبنية المكتبة العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٩م.

رابعاً: المؤتمرات والرسائل العلمية والدوريات.

٤٦- إبراهيم حركات: الأوضاع المالية والاقتصادية في العصر الأموي، مجلة دعوة الحق، الرباط، ١٩٨٧، العدد ٢٦٧.

٤٧- الدسوقي محمد: الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي، سلسلة قضايا إسلامية، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القسم الأول عدد ٦٤، سنة ٢٠٠٠م -عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع: الأثر الاجتماعي لمساهمة المرأة في النشاط الوقفي، بحث ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب، حصاد (١٥)، ٢٠٠٧م.

٤٨- بركات محمد مراد : الوقف فضيلة إسلامية وضرورة اجتماعية، مجلة البيان، العدد ٢٢٨، الرياض سبتمبر ٢٠٠٦م

٤٩- حمدي عبد المنعم حسين: مجتمع قرطبة في عصر الدولة الأموية، رسالة دكتوراه، آداب الإسكندرية، ١٩٨٤م.

٥٠- عبد المالك أحمد السيد: الدور الاجتماعي للوقف، ندوة إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف، جدة، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ١٩٨٩م

٥١- محمد المنوني: ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل، المغرب، عدد ٣١، ١٩٨٤م.

خامساً: المصادر الأجنبية.

٥٢- Guessoum, Abderrazak: Le rôle socio-économique du Waqf dans la société musulmane : historique et perspective, AWQAF, numéro expérimental, Novembre ٢٠٠٠

٥٣- Guichard,Pierre:Structures Sociales “Orientales” et "occidentales" dans l'Espagne musulmane,Paris,١٩٧٧.

٥٤- Nykl (B.A.R) :Hispano Arabic Poetry. Baltimore. ١٩٤٦

٥٥- Peres, Henari: La poésie andalouse en arabe classique au XIe siècle, deuxième édition. Adrien Maisonneuve, Paris, ١٩٥٣

٥٦- Provencal, Levi: L'Espagne Musulmane au exe sicele, Instiutions et vie Sociale Paris, ١٩٣٢.

٥٧- Provencal, Levi: La Civilizacion Arabe en Espana, Segunda edicion. Buenos Aires, ١٩٥٣.

٥٨- Rebeca Ibáñez Martín: Un Universo por Descubrir. Género y Astronomía en España, European Journal of Women's, Studies, SAGE Publications, New York, ٢٠١٢

٥٩- Ribera, Julian: y tarrago: Disertcioney y Opusculos. Tomo I. Revista de archivos, bibliotecas y museos, ١٩٢٨

هوامش الدراسة:

(١)الوقف لغة: الحبس والمنع، والفقهاء يعبرون بعضهم بالوقف، وبعضهم يعبر بالحبس ، والوقف عندهم أقوى من الحبس، والوقف من "وقف"، ووقف الدار ونحوها: حبسها في سبيل الله. ويقال: وقفها على فلان، وله والواقف عند الفقهاء: الحابس لعينه إما على ملكه وإما على ملك لله تعالى، والوقف عند الفقهاء حبس العين على ملك الواقف أو على ملك لله تعالى. والوقف اصطلاحا: يعرفه البعض أيضاً أنه: التصرف في ريع العين وما تدره من مال مع بقاء ذاتها، وجعل منفعتها لجهة من جهات البر، وهي بهذا تخرج من ملك صاحبها وسبل منفعتها بجعلها مبذولة على وجه القرب لله سبحانه وتعالى. كما عُرف الوقف أيضاً بمعنى أن يحبس شخص ما بعض أمواله أو كلها عن التداول بأن يوقفها فلا يمتلكها شخص آخر بأي سبب من الأسباب الناقلة للملك، وإنما ينتفع بريعها، وما تدره من أموال فقط على الوجوه التي حددها الواقف دون امتلاك للعين ذاتها، وهو ما يوجز عند الفقهاء بقولهم: "تحبيس العين وتسبيل المنفعة"، وذلك لتحقيق وجه من وجوه البر والخير التي رآها الواقف وأراد لها الاستمرار في حياته وبعد مماته ابتغاء مرضاة الله. ابن منظور: **لسان العرب**، (منشورات دار صادر، بيروت، د.ت)، ج٩، ص ٣٥٩؛ الطرابلسي: **الإسعاف في أحكام الأوقاف**، (دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص ٧؛ الجرجاني: **كتاب التعريفات**، (مكتبة لبنان،، بيروت، ١٩٨٥م)، ص ١٧٤؛ السرخسي: المبسوط، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣ م) ج١٢، ص ٢٧.

(٢)تاريخ إسبانيا الإسلامية(النظم والمؤسسات)، (ترجمة الى الاسبانية اميليو جاريث جومث وترجمة الى العربية على عبد الرؤوف البمبى وآخرون، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م)، مج٢، ج١، ص٣٤٦- ٣٤٧.

(٣)سهى بعيون: إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس في عصر ملوك الطوائف ٤٢٢ – ٤٧٩هـ/ ١٠٣١ – ١٠٨٦م، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٤م، ص ٨٣.

(٤)ابن الأَبَّار: الحُلة السِّيَراء (تَحْقِيق: حُسَين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م)، ج.١، ص٢٥٨.

(٥) الطاهر مكي: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م)، ص٢٦٩.

(٦) الونشريسي: المعيار المُعْرِب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، (أشرف على تَحْقِيقه: محمد حجّي، دار الغرب الإِسْلامي، بيروت، ١٩٨٣م)، ج.٢، ص٢٢٠.

(٧) تعني كراء الأرض بشيء مجهول وما تخرجه الارض بشيء معلوم، وتكون حالة الكراء عندما يعجز صاحب الارض عن عمارتها فيعمل على رفع يده عن الأرض ليكريها الى من يقوم بعمارتها، وهي من المعاملات التي استخدمها اهل الأندلس ايضاً حيث كان صاحب الأرض يكري أرضه إلى رجل آخر في وقت الزراعة فيعمل الآخر على زراعتها مقابل أجر معلوم ومدة محددة فأن لم يعمل على عمارتها وكرائها

أي يهملها أصبح العقد بينهما فاسداً ولزم ابطاله لأن أساس التعاقد هنا هو عمـــارة الأرض. الونشريـــسي، المِعْيَارُ المُعْرِب، ج٨، ص١٦٩.

(٨) ابن الحاج: نوازل ابن الحاج، (مخطوط بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، الرباط، تحت رقـــم : ج٥٥)، ص١٨١.

(٩)المصدر نفسه، ص٢٠٨.

(١٠)المصدر نفسه، ص.١٨٠.

(١١)المصدر نفسه، ص.١٤٩.

(١٢)المصدر نفسه، ص.٣٠.

(١٣)المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، (تحقيق: إحسان عبـــاس، دار صـــادر، بيـــروت، ١٩٦٨م)، ج١، ص٥٢٣، ٥٢٤.

(١٤)الضبي: بغية الملتمس، (دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م)، ص١٠٥؛ ابن سعيد: المُغْرِب في حلي الْمَغْرِب (تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ١٩٩٩)، ج١، ص١٩٩.

(١٥)ابن بشكوال، كتاب الصِّلَة، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م)، ج٢، ص٦٩٦؛ علي عبد العظيم: ابن زيدون، (دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٧م)، ص ١٤٠ – ١٤٢.

(١٦) ابن بشكوال، كتاب الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩٢.

(١٧)المراكشي، الذيل والتَّكملة، ج٢، ص ٤٩٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٤٦.

(١٨) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٩٤.

(١٩)ابن الخطيب: الإِحَاطَة فِي أَخْبَارِ غَرْنَاطَة، (تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القـــاهرة، ٢٠٠١م)، ج ١، ص ٤٣١ – ٤٣٢.

(٢٠)ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، (تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيـــروت، ١٩٦٤م)، ج ٢، ص ٤٨٣.

(٢١)هنري بيرس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، (ترجمة الطاهر مكي، دار المعارف، ١٩٩٠م) ص ٣٤٧.

(٢٢)Schack,Federico: Poesia y Arte de Los Arabes en Espana Y Sicilia. Traduccion de Juan Valera Mexicco, ١٩٤٤,p.٦٢.

(٢٣)ابن الخطيب، الإِحَاطَة، ج١، ص ١٣٧.

(٢٤)ابن الأَبَّار: التَّكملة لكتاب الصِّلَة، (تحقيق : إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، ١٩٨٩م) ج٤، ص ٢٥٩.

(٢٥)هو أبو عمر يوسف بن يحي وسعيد بن حسان. ابن الزبير: صلة الصِّلَة، (تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان ١٩٩٥م) ج٥، ص٣٠٥.

(٢٦) ابن بشكوال، الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٤٧.
(٢٧)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج٤ ص ٢٤٣.
(٢٨) ابن بشكوال، الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩٤.
(٢٩)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج٤ ص ٢٤٨.
(٣٠)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٨.
(٣١)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٩.
(٣٢)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٥١.
(٣٣)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٥٤.
(٣٤)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٥٤.
(٣٥)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٥٤.
(٣٦)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٥.
(٣٧)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٤.
(٣٨)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٤.
(٣٩)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٣.
(٤٠)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٦.
(٤١)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٦.
(٤٢) محمد عبد اللطيف قنديل، فقه النكاح والفرائض علي مذهب الإمام الشافعي، ص ٦.
(٤٣) Guessoum, Abderrazak: Le rôle socio-économique du Waqf dans la société musulmane : historique et perspective, AWQAF, numéro expérimental, Novembre ٢٠٠٠. P. ٤٠.
(٤٤) محمد أبو الأجفان: الوقف على المسجد في المغرب والأندلس وأثره في التنمية والتوزيع، (دراسات في الاقتصاد الإسلامي، بحوث مختارة من المؤتمر الدولي الثاني للاقتصاد الإسلامي، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ص ٣١٨.
(٤٥) يحي محمود بن جنيد: الوقف وبنية المكتبة العربية، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٩م)، ص ٨٩.
(٤٦)نفح الطيب، ج١، ص: ٢٢٠.
(٤٧) مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، (دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٥م)، ص ١٠٠.
(٤٨) الدسوقي محمد: الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي، (سلسلة قضايا إسلامية، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القسم الأول عدد ٦٤، سنة ٢٠٠٠م)، ص٩١.
(٤٩) « Les enseignants étaient payés par le Waqf, ce qui les rendait indépendants moralement et matériellement du pouvoir public ». Waqf et développement, Publié

le mercredi ٤ juillet ٢٠٠٧. http://www.bismillah-debats.fr.st /article. php٣?id_ article=٢٣٠, Le temps de visite: ٤/١/٢٠٠٨.

(٥٠)ابن حيان: المقتبس، السفر الثاني، (تحقيق: محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣م)، ص ١٨٨.

(٥١) المنية: هي ضيعة حول القصر على نمط الفيلات في العصر الروماني، وقد نقل العرب نموذج المنية الى الأندلس كما كان بالمشرق أيضا. إبراهيم حركات: الأوضاع المالية والاقتصادية في العصر الأمـــوي، (مجلة دعوة الحق، الرباط، ١٩٨٧)، العدد ٢٦٧، ص ٦٢.

(٥٢)الخشني: قضاة قرطبة،(الدار المصرية للتـــأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م)، ص٥٩، ٦٠.

(٥٣)المقتبس، السفر الثاني، ص ٢٨٧ و٣٠٤ و٣٠٥.

(٥٤)أنور محمود زناتي: ابن حيان القرطبي: حامل لواء التاريخ في الأندلس، (دار زهران للنشر، الأردن، ٢٠١١م)، ص ١٩٣.

(٥٥)ابن حيان: المقتبس، السفر الثاني، ص ٣٠٣.

(٥٦) حمدي عبد المنعم حسين: مجتمع قرطبة في عـــصر الدولـــة الأمويـــة (رســـالة دكتـــوراه، آداب الإسكندرية، ١٩٨٤م)، ص٢٩٩.

(٥٧)Provencal, Levi: La Civilizacion Arabe en Espana, Segunda edicion. Buenos Aires, ١٩٥٣, p. ٧٢.

(٥٨) ابن الآبار، الحُلة السِّيَراء، ج١، ص١١٤.

(٥٩)ابن عذاري: البَيَان المُغْرِب في أخبار الأندلس والْمَغْرِب (تَحْقِيق: إِحْسَان عَبَّاس، بيروت، ١٩٨٠ م)، ج٢، ص١٧١.

(٦٠)ابن الأبار : التَّكملة لكتاب الصِّلَة، ج٤ ص ٢٤٣.

(٦١)الذيل والتكملة، ج ٢، ص ٤٨٤.

(٦٢)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج٤ ص ٢٤٠.

(٦٣) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٤٤.

(٦٤)ابن حيان، المقتبس، السفر الثاني، ص ٣٠٥؛ ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج٤ ص ٢٤٢.

(٦٥)ابن الأبار، التَّكملة، ج٤ ص ٢٤٨.

(٦٦) السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس (دار النهـــضة العربية، بيروت، ١٩٧١م)، ج٢، ص٩٣.

(٦٧) ابن حزم: جمهرة انساب العرب (تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٩٤م)، ص٩٩.

(٦٨)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج٤، ص ٢٤٤.

(٦٩) عمر رضا كحالة: المرأة في عالمي العرب والاسلام، (مؤسسة الرسالة، بيـــروت، ٢٠١١م)، ج٦، ص٦١.

(٧٠) راوية شافع: المرأة فى المجتمع الأندلسي من الفتح الاسلامى للأندلس حتى سقوط قرطبـــة، (عـــين للدراسات والبحوث الانسانية، القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص ١٥٩.

(٧١) هنري بيرس، الشعر الأندلسي، ص٣٧٣، ٣٧٤.

(٧٢)الذهبي : سير أعلام النبلاء (تحقيق: شعيب الارناؤطى، محمد نعيم العرقسوسى، مؤســـسة الرســـالة، بيروت، ١٩٤٨م)، ج ١٢، ص٥٤٢.

(٧٣) عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١١م، ج ٤، ص٥٩– ٦٠.

(٧٤) Ribera, Julian: y tarrago: Disertcioney y Opusculos. Tomo I. Revista de archivos, bibliotecas y museos, ١٩٢٨, p. ٣٤٦

(٧٥) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص ٦٩١، الضبي، بغية الملتمس، ص٥٤٦.

(٧٦)ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦٩٤.

(٧٧)ابن الأَبَّار، التَّكملة،، ج٤ ص ٢٤٣.

(٧٨)ابن بشكوال، كتاب الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩٢.

(٧٩) Nykl (B.A.R) Hispano Arabic Poetry. Baltimore. ١٩٤٦.p٦٤.

(٨٠)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج ٤، ص ٢٤٢.

(٨١)المصدر نفسه، ج ٤ ص ٢٤٢.

(٨٢)المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٤٣.

(٨٣)المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (تحقيق: محمد سعيد العريـــان، القـــاهرة، ١٩٦٣)، ص ٢٤٨.

(٨٤) بيرس، الشعر الأندلسي، ص٣٧٣؛ على عبد العظيم، ابن زيدون. ص٧٥.

(٨٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.

(٨٦)ابن بشكوال، الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩٢.

(٨٧)المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٩٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٤٦.

(٨٨) أحمد شلبي: موسوعة الحضارة الإسلامية، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م)، ص ١٨٣.

(٨٩) أنور محمود زناتي: الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية، ضمن كتاب: أندلسيات، (دائـــرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٣م)، ص ٥٦.

(٩٠) محمد الأرناؤوط: دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، (دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م)، ص ٨١.

(٩١) محمد عجاج الخطيب: لمحات في المكتبة (مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م)، ص ٢٤.

(٩٢)يحيي محمود بن جنيد: الوقف وبنية المكتبة العربية، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٩م)، ص ٣٢.

(٩٣) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص ١١٧-١٢٠.

(٩٤)بركات محمد مراد : الوقف فضيلة إسلامية وضرورة اجتماعية، (مجلة البيان، العدد ٢٢٨، الرياض سبتمبر ٢٠٠٦م)، ص ٢٢.

(٩٥)السيد النشار: تاريخ المكتبات في مصر: العصر المملوكي، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م)، ص ٦٣.

(٩٦) محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٧٨م)، ج١، ص ١٨٨.

(٩٧) محمد بنعبد الله: الوقف في الفكر الإسلامي، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٦-١٩٩٦)، ج١، ص١١.

(٩٨) عبد المالك أحمد السيد: الدور الاجتماعي للوقف، (ندوة إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف، جدة، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص ٢٢٩.

(٩٩)أحمد أبو زيد: نظام الوقف الإسلامي: تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة، الرباط، منظمة الأيسيسكو، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٤٠.

(١٠٠)راوية شافع: المرأة فى المجتمع الأندلسي، ص ١٣٠.

(١٠١) ابن بشكوال، الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩٥. المقرّى، نَفْح الطِّيب، ج٤، ص ٢٩١ ؛ تريزا جارولو : ديوان شواعر الأندلس، (ترجمة : منى ربيع بسطاوى، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٣م) ص ٩٣

(١٠٢)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج١، ص ١٢٩.

(١٠٣)ج٢، ص ٦٩١.

(١٠٤)المقري، نفح الطيب، ج.٤، ص.٢٩٣.

(١٠٥) رعد محمود البرهاوي: خدمات الاوقاف في الحضارة العربية الاسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٢م) ص ٨٩، ١٥٣.

(١٠٦)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٩٦.

(١٠٧) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٩٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٤٧.

(١٠٨) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٩٤.

(١٠٩) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص ٦٩٣.

(١١٠)ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦٩٦.

(١١١)Rebeca Ibáñez Martín: Un Universo por Descubrir. Género y Astronomía en España, European Journal of Women's, Studies, SAGE Publications, New York, ٢٠١٢, p.١٣٨.

(١١٢)ابن بشكوال، الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩٤.
(١١٣)المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٩٦.
(١١٤)المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٩١.
(١١٥)ابن الأَبَّار : التَّكملة ج٤ ص ٢٤٠.
(١١٦)المراكشي، الذيل والتَّكملة، ج٢، ص ٤٧٨.
(١١٧)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج٤، ص ٢٥٤.
(١١٨) الحميدي: جذوة المقتبس، في تاريخ علماء الأندلس، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م)، ص ٤١٢ – ٤١٣.
(١١٩) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٩.
(١٢٠) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٢٨٤.
(١٢١) هنري بيريس، الشعر الأندلسي، ص ٣٧٥ – ٣٧٦.
(١٢٢)راوية شافع: المرأة فى المجتمع الأندلسي،ص ١٦٢.
(١٢٣)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج٤، ص ٢٥٩.
(١٢٤)ابن حيان، المقتبس، السفر الثاني، ص ١٨٨.
(١٢٥)المصدر نفسه، ص ٣٠٤ و ٣٠٥.
(١٢٦)ابن بشكوال : الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩٥، المقرّى : نَفْح الطِّيب، ج٤، ص ٢٩١ ؛ تريزا جارولو : ديوان شواعر الأندلس، ص ٩٣.
(١٢٧)ابن الأَبَّار : التَّكملة، ج١، ص ١٢٩.
(١٢٨)ابن بشكوال، الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩١.
(١٢٩) تستحق لقب أول شاعرة ظهرت في أرض الأندلس علي الرغم من أسبقية العجفاء عليها فحسانه كانت من الحرائر وليست من القيان، وهي مولودة في الأندلس بمدينة البيرة وليست وافدة، ويروي أنها عاشت مائة سنة ما بين عام (١٥٤هـ- ٢٥٤هـ/ ٧٧٠م – ٨٩٨م). المراكشي، الذيل والتكملة، ج ٢، ص ٤٨٤.
(١٣٠) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص ١٦٧.
(١٣١)المصدر نفسه، ج٤، ص ١٦١.
(١٣٢)المصدر نفسه، ج٤، ص ١٦١.
(١٣٣)المصدر نفسه، ج٤، ص ١٦١.
(١٣٤) راجع القصيدة كاملة في المقرى، المصدر السابق، ج٤، ص ١٦٧-١٦٨.
(١٣٥)ابن الأَبَّار، التَّكملة، ج٤، ص ٢٤٨.
(١٣٦)ابن حيان، المقتبس، السفر الثاني، ص ٢٣٤.

(١٣٧)المصدر نفسه، السفر الثاني، ص ١٨٨.

(١٣٨)المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

(١٣٩) Levi Provencal: Historie L'Espagne, T. I, p. ٢٦٧

(١٤٠) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص٩٩.

(١٤١) ابن بشكوال، الصِّلَة، ج٢، ص ٦٩٣.

(١٤٢)المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٩٢.

(١٤٣)ابن رشد: فتاوي ابن رشد، (تحقيق: المختار بن الطَاهِر التّليلي، دار الغرب الإِسْلامي، بيروت، ١٩٨٧م) السفر الثاني، ص ١٠٧١.

(١٤٤)نقلا عن كتاب ابن العطار: كتاب الوثائق والسجلات، (اعتنى بتَحْقِيقه ونشره ب.شالميتا، و ف. كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي المعهد الاسباني العربي للثقافة، مطابع رايكاش. م للطباعة العربية، مدريد ١٩٨٣ م)، ص ١٧١.